فجر اللقاء

رواية

تأليف
سجاد الحولاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ))

"الفشل هو التربة الخصبة لشجرة النجاح المثمرة"

سجاد سالم الحولاوي

العراق – ذي قار - المنار

الإهداء :- .....

إلى كل من شجعني للكتابة ..... شكرا لكم .....

شكراً للسيد و الأستاذ إبراهيم الخراساني الذي دفعني للكتابة .....

شكراً للأستاذ والرسام كرار رزاق الشامي على تصميم غلاف الكتاب .....

شكراً للأستاذ ماجد ريسان الحريشاوي لتدقيق وتحرير الكتاب.....

(1)

انتهى بلمح البصر

لمشاهدة غروب الشمس من مقاعد تطل على نهر ما أروع شواطئه يجلس صديقين تدل هيئة مداخلتهما في حديث دار بينهما أنهما صديقين قديمين ، وقد انفرد عنهما وعلى بضعة أمتار شخص مقعد ويغط في حزن عميق وركز كل نظره نحو الأفق باتجاه الشمس التي لم يتبقى لها إلا بعض من الدقائق المعدودة على غروبها . حتى أن الناظر إليه سيأسف على ذلك الوجه المليح .

ولشدة أسف طه سأل شبير الذي كان يجلس بجانبه : شبير ، حتى لو أن أخيك شبر أرد أن يتعافى فأن حزنه العميق سيحول دون ذلك , فالحالة النفسية للمريض تلعب دوراً كبيراً في تماثله للشفاء .

شبير وقد زفر بحزن : لقد أجبرناه على أن يخرج معي للتنزه ، أنت لا تعلم كيف أن أمي ألحت عليه وأصرت عليه للخروج معي حتى يخفف عن نفسه ، لقد فقد حتى الرغبة في أن يتنزه ويطرد عن نفسه كآبته وحزنه الشديد , ونحن قلقون كثيرا بشأنه .

فجأة يقطع حديثهما جلوس شاب غريب حيث استغربه كل من شبير وطه فلم يريا هذا الشاب في هذا الحي من المدينة من قبل ، حيث جلس على إحدى

المقاعد التي تطل على النهر ، وراح يغط في قراءة كتاب كان يحمله معه. لقد كان ذلك الشاب يشبه شبر الحزين كثيرا جدا . شاب ذو بشرة بيضاء وشعر اسود سرح تلاعبه الرياح .

و في استغراب شديد يسأل شبير : هل تعرف هذا الفتى يا عزيزي طه .

طه وهو يمعن النظر بذلك الشاب الغريب : في الحقيقة أردت أن أسبقك بالسؤال ، فأنا أجهل من يكون . ولكن انظر يا شبير انظر إليه والى الشبه الذي بينه وبين أخيك شبر . اقسم لو انه صادفني في طريق ما , ما كنت لأميز بينه وبين شبر إلا كرسي أخيك شبر المتحرك .

شبير : حقا , حقا سبحان الذي يخلق من الشبه أربعين !

وأثناء ذلك إذ هبت رياح حملت معها ورقة ممزقة من كتاب ذلك الشاب الغريب ولحسن الحظ التصقت بوجه شبر ذلك الشاب الحزين المقعد . وأثناء ما كانت ورقة كتاب ذلك الشاب الغريب أسيرة الرياح إذ قام ذلك الشاب بمطاردتها إلى أن استقرت عند شبر بعد أن التصقت بوجهه . امسك شبر الورقة بيديه ووقعت عيناه على محتواها حيث كان مكتوبا بالسطور الأولى:

"عندما نبتسم سيبتسم الكون لنا , وحتى السعادة لن تبرح قلوبنا وستغدو البهجة عادة لا غنى عنها . ما يظنه الإنسان عن نفسه حتما سيكون واقعه الذي سيعيشه . تصور انك حزين , سيأتيك الحزن بلا شك , ولكن إذا تصورت عن نفسك المزاج الجيد والفرح والسرور والابتهاج فسيأتي لك كل ذلك . ولكن إذا كان الإنسان حسب ما يعتقده عن نفسه , دائم الحزن ووجه عابس ودائم التشاؤم , فهذا هو الخطر بحد ذاته , إذ أن كل من حوله سيعتاد على انه دائم الحزن و باختصار..... هذه هي صفته وعادته , ومع مرور الوقت وشيئاً فشيئاً لن يسأله حتى المقربين منه ..... ما الذي يحزنك ؟ "

وعندما وصل الشاب الغريب إلى مستقر ورقة كتابه , وبابتسامة ما أعذبها قال : السلام عليكم .

رد شبر وبارتباك ملحوظ : وعليكم السلام .

الشاب الغريب : أرجو المعذرة إذ أن الورقة قد التصقت بوجهك عندما حملتها الرياح .

شبر : لا، لا عليك .

الشاب الغريب وأثناء أخذ تلك الورقة بعد أن قدمها شبر إليه : من المؤسف أن يتغلب الحزن على وجهٍ وسيم مثل وجهك . هذا الكتاب الذي أحمله والذي يسمى كتاب خطاب الأرواح يتكلم عن أمور كثيرة تخص النفس البشرية ومن

ضمنها أنه "مهما كانت الحياة قاسية معنا لا بد وأن يكون هناك بصيص أمل يربطنا بالسعادة" .

ثم استطرد قائلا : وأنت الآن وعندما تغط في هذا الحزن فإنك تجر كل من هو قريب منك لمستنقع حزنك يا عزيزي . وأنا اعتذر إذ أنني قد تدخلت بأمر قد يكون خاص بك ، ولكن لا أعلم سبب تدخلي وأظنه جاء عن خارج نطاق إرادتي .

ثم استطرد قائلا أيضا : أرجو المعذرة مرة أخرى أيها الشاب ..... إلى اللقاء .

لقد كان شبر يريد من ذلك الشاب أن يكمل القراءة , أي قراءة ما تبقى من محتوى تلك الورقة . وأيضا أراد من ذلك الشاب أن يكمل حديثه . ولكن كل شيء انتهى بلمح البصر.....

في وسط الذهول يقع شبر ، إذ أن هذه المرة الأولى التي يُحدثه شخص غريب فيها وما أجمل حديثه إذ كان ذلك الحديث كله يصب في واقع شبر حقيقة . وعندما انصرف عنه ذلك الشاب الغريب جاء أخاه شبير وصديقه طه مسرعين .

شبير : أخي شبر .

لم يجبه شبر إذ أن عينيه ما زالتا تشيعان ذلك الشاب الغريب أثناء انصرافه عنه .

شبير وقد كرر النداء : أخي شبر .

شبر وعندما أفاق من السرحان : ماذا هناك يا عزيزي شبير ؟

شبير بتعجب : أتسألني أنا ماذا هناك ؟ ، لست على عادتك بعد أن كلمك ذلك الشاب الغريب . هل تعرفه ؟ وما الكلام الذي دار بينكما ؟

شبر وهو في حيرة من أمره فكأن هناك أمر ملفت لشيء لا يعرفه في أمر ذلك الشاب : لا ..... لا شيء هناك يا أخي فلنذهب إلى البيت . وأنت يا عزيزي طه إن أمي قد صنعت الكعك الذي أُفضله , وأرغب أن نتناوله نحن الثلاثة معاً .

طه بابتسام : شكرا لك يا صديقي . سأحضر معكما .

لما وصل الثلاثة معا إلى بيت يعرف ببيت عبد الرحمن وهو نفسه بيت والد شبر وأخيه الأصغر منه شبير . كان قد حل المساء ، لم يغادر ذلك الشاب الغريب من ذهن شبر , فطوال الطريق كان يشغل تفكير شبر لسبب لا يعلمه شبر نفسه .

شبر : أخي شبير أنت و طه ادخلا إلى المتجر لتتناولا الكعك الذي أخبرت طه عنه .

فأعقبه طه معاتبا : أبهذه السرعة أخلفت بوعدك لي يا صديقي ! ألم نتفق بأن نتناول الكعك معاً ؟

شبر : أرجو المعذرة منك يا صديقي لكن لا وجود لأدنى شهية لديّ لتناول الكعك فأنت تعلم بحالي جيدا , أرجو أن تعفيني من هذا .

طه واضعاً راحة كف يده على كتف شبر : حسناً ، كما تريد يا عزيزي .

مضى شبر إلى داخل بيته . ودخل كل من شبير وطه إلى متجر عبد الرحمن الذي يصنع الخبز والكعك , حيث أن هذا المتجر كان مشهوراً جداً في هذه المدينة . لقد كان شبر يدوّر عجلات عربته إلى داخل البيت , فقال : إن لي الحق بان أعاتب ذلك الشاب , فلمَ كان اللقاء معه قصير هكذا .

عبد الرحمن : من طه ؟! أهلا بك يا فتى , لقد افتقدناك يا بني بعد غيابك الطويل والمفاجئ .

طه : شكرا لك يا سيدي ، هذا من حسن طيبتك.

عبد الرحمن : هل تعلم إن أم إليا قد حضّرت لكما كعكاً شهياً ، لكن مهلاً لقد أخبرني شبر بأنكما ستتناولان ذلك الكعك معاً ، فأين هو ؟

أجاب شبير : نعم يا أبي , لقد قال بأنه لا يملك أدنى شهية لذلك , علما أنه قد طلب من طه بان يتناول الكعك معه , ذلك الكعك المفضل لديه ، ولكن حالما وصلنا حتى انقطعت شهيته فجأة!

عبد الرحمن: يا إلهي متى تُكتب العافية لشبر ليتعافى و نتعافى جميعاً .

طه : أسأل الله أن يعافيه عاجلا غير آجل .... فأعقبه عبد الرحمن : شكرا لك يا بني .

أخذ شبير وطه بتناول الكعك ذلك الكعك الذي يفضله شبر كثيرا . أثناء ذلك إذ تدخل السيدة كوثر إلى المتجر من باب يربط بين المتجر وبيت السيد عبد الرحمن , وهي نفسها التي تسمى أم إليا والدة كل من شبر و شبير , وهي تحيي طه : طه بعد كل هذا الغياب ! ، كيف حالك يا بني ؟ ، ولمَ هذا الغياب الطويل عنا ؟ .

طه بابتسام : الحمد لله يا سيدتي ، وأشكرك لافتقادك لي . أما غيابي فأنتِ تعلمين بأن عملي يحول دون لقائي بكم مؤخراً .

أثناء ذلك إذ يدخل إلى المتجر شاب عمره يقارب عمر شبر و صديقه طه ويحمل بيده كتاب . وأثناء دخوله إلى المتجر شعرت كوثر بضربات قلب غريبة ، ضربات قلب لم تشعر بها من قبل و لا تعلم ما سببه ، وكأنها تقول أين رأيت هذا الشاب من قبل ؟! , ذلك الشاب الذي يشبه ولدها شبر كثيراً , لقد كانت في تساؤل شديد الحَيرة , فهل ظنت أنها قد رأت هذا الشاب من قبل لأنه يشبه شبر ؟ أم إنها فعلا قد رأته سابقاً ؟!

الشاب وهو يلقي التحية بابتسامة : مساء الخير .

أعقبته كوثر مع تلعثم وتوتر : مساء الخير . أهلا , أهلا بك .

ومع ابتسامة من ذلك الشاب , قال : هل يمكنني أن أشتري الخبز يا سيدتي ؟

ردت كوثر في وسط توتر شديد ولأول مرة ترى هذا التوتر في نفسها مع الزبائن ، إذ عُرف عنها وبطريقتها الرائعة في التعامل مع الزبائن : نعم ، نعم أيها السيد . أي نوع من الخبز تريد ؟

الشاب الغريب: أريد خبز اللفائف .

كوثر : حسناً ، حسناً . كم رغيف من الخبز تريد أيها السيد ؟

الشاب الغريب :أربعة لو سمحتي يا سيدتي .

كوثر والتوتر ما زال سببه مجهول : حسناً ، حسناً لك ما تريد .

أما شبير وطه فيعرفان هذا الشاب ، فهو نفسه ذلك الشاب الذي استغربا وجوده في هذا الحيّ من المدينة , والذي رأوه عصر هذا اليوم عند النهر والذي تكلم مع شبر .

ناولت كوثر كيساً يحتو على خبز اللفائف الذي طلبه ذلك الشاب وأعقبت قائلة : أيها السيد..... وقاطعها ذلك الشاب .

الشاب الغريب : يمكنكِ أن تناديني ياسين يا سيدتي .

كوثر : ياسين ؟ حسناً ، هل أنت من هذه المدينة يا ياسين ؟

ياسين : للتو انتقلت إلى هذه المدينة و أسكن في الحي المجاور....خذي يا سيدتي.....تفضلي... هذا ثمن الخبز .

كوثر بابتسامة : بما أنك زبون جديد لنا , فحساب الخبز هذه المرة علينا .

ياسين بتردد : لكن... وقاطعته كوثر : أنا أصر يا ياسين .

ياسين : حسناً ، شكرا لكِ يا سيدتي .

كوثر: على الرحب والسعة يا بني .

غادر ياسين المتجر وسط تشيع نظرات كوثر التي كانت تقول أثناء خروج ذلك الشاب من المتجر : أنا أؤمن بوجود شيء يسمى رسائل الأرواح , ولست أؤمن بوجود شيء يسمى مصادفة , فلمَ تغيرت نبضات قلبي عندما رأيت هذا الشاب وهو يدخل المتجر ؟ هل هناك شيء في الغيب لا يعلمه إلا الله ؟

كانت كوثر تريد أن تحدث ذلك الشاب فقد كان وجهه مألوفاً ليس لأنه يشبه شبر لحد كبير . بل كانت تشعر بأنها تعرفه قبل هذه اللحظة بالذات . حيث قالت كوثر عن هذا اللقاء .... انتهى بلمح البصر .

طه : حسناً ، أنا استأذنكم فقد تأخرت عن والدتي .

رد كل من كوثر و شبير : مع السلامة وبلغ سلامنا لوالدتك .

شبير لوالدته : أمي ما الذي أصابك عندما قمت ببيع الخبز لذلك الشاب ؟ فقد بدا التوتر واضحاً عليك ، ما السبب ؟

كوثر: لا اعلم يا عزيزي . فكأني قد رأيته من قبل ولا أعلم شيئا غير هذا .

ثم استطردت تقول : هيا يا عزيزي لنغلق المتجر ونذهب للعشاء .

على مائدة الطعام جلس كل من عبد الرحمن وكوثر وشبر و شبير .

عبد الرحمن إلى شبر : بني شبر يجب أن تجبر نفسك على أكل الطعام . فطبيبك قال قد تتحسن صحتك إذا كانت لديك تغذية جيدة , غير أني أراك وكأنك سارح بتفكيرك .

شبر : حسنا يا أبي , سآكل .

الجميع لا يعلم أن شبر كان يفكر بذلك الشاب ويردد كلماته :

"مهما كانت الحياة قاسية معنا لا بد وأن يكون هناك بصيص أمل يربطنا بالسعادة**"** .

فقد زرعت هذه الكلمات حب ذلك الشاب الذي لا يعرف اسمه حتى الآن في قلب شبر , فقد زرع ذلك الشاب في قلب شبر الأمل بأنه سيتعافى . و أيضاً كان يأمل بأن يلتقي بـ(ياسين) مرة أخرى . ذلك الشاب الذي لم يغادر مخيلته حتى اللحظة . لكن كيف .....كيف يستطيع أن يحضى بلقائه وهو لا يعرف عنه أي شيء ؟ . لا اسمه ولا حتى عنون سكنه . وبسبب شوقه لذلك الشاب

الغريب قال في نفسه : أن تفارق شخصاً قد أعجبتك أخلاقه وحسن كلامه ودخل قلبك وأحببته , صادفته في الطريق أو في أي مكان آخر , فلا تعرف اسمه ولا عنونه , فهذا فراق لا يحسد عليه صاحبه .

وأثناء ذلك قال شبير مخاطباً شبر : شبر أتذكر ذلك الشاب الذي التصقت ورقة كتابه بوجهك عندما حملتها الرياح عصر هذا اليوم ؟

شبر واحمرار وجنتيه فقد ظن أن أخيه شبير علم انه يفكر بذلك الشاب الذي لا يعرف اسمه حتى اللحظة : نعم ، اذكر يا أخي ولكن ما الذي ذكرك به الآن يا شبير ؟

شبير : لقد جاء إلى متجرنا هذا المساء ليشتري الخبز .

شبر وهو متفاجيء : حقاً ؟

شبير: نعم.

شبر: هل هو غريب عن مدينتنا ؟ وما أسمه ؟ وأين يسكن ؟.....حيث صمت شبر قليلاً بسبب خجله من عائلته , لأنه قد علمَ أنه بالغ بإلقاء الأسئلة قليلاً حسب ظنه.....

شبير: لا ، فقد سألته أمي في إذا ما كان من مدينتنا أم لا , فقال بأنه قد انتقل لتوه إلى هذه المدينة ليسكن فيها , وهو يقطن الآن في الحي المجاور . ويدعى ياسين .

شبر في قرارة : ياسين إذاً , لن أنسى هذا الاسم أبدا وسأبحث أبحث عنه حتى لو اضطررت للبحث عنه بمفردي .

استفسر والد شبر وشبير عن الكلام الذي يدور بينهما فقص عليه شبير ما جرى بين شبر و ذلك الشاب ياسين عصر هذا اليوم . غير أن والدتهما لاحظت أن شبر لديه بعض من الاهتمام حول معرفة ذلك الشاب ياسين و الذي لا تعلم سبب اهتمامه .....

(2)

لأرثينَّك ما دمتُ حياً

إلى الحي المجاور حيث يقطن طه ووالدته حليمة في بيت ميسور الحال . لحظة دخول طه إلى البيت . والدة طه : لمَ هذا التأخر يا بني ؟ ، لقد كنتُ قلقة عليك .

طه : أنا آسف لتأخري يا أمي لكني كنت مع شبر وشبير إذ أصرا عليَّ باصطحابهما إلى منزلهما .

حليمة وهي توزع ثلاثة أطباق على مائدة الطعام : أرجوك لا تكرر هذا التأخر مرة أخرى يا بني . ثم أخبرني كيف حال شبر ؟ ألم تتحسن حاله ؟

طه وهو يجلس على الأريكة القريبة من مائدة الطعام : لا, يا أمي لا يوجد أي تحسن يُذكر في حال شبر , فما زال وضعه هو على حاله , قليل التغذية ودرجة الحرارة غير المستقرة و نحول الجسم , وإذا استمرت حاله على هذا النحو قد يصاب بكآبة وتزداد حاله نحو الأسوأ .

حليمة وهي ما زالت ترتب أواني مائدة الطعام تحضيراً للعشاء : يا الهي شاب كـ(شبر) لا يستحق هذا .

والدة طه وقد رأت الحزن بادٍ على وجه طه : ما الأمر يا بني ، لمَ هذا الحزن .

طه وقد طأطئ رأسه للأرض : كيف لا أحزن يا أمي وإن أبي قد ترك لنا ثروة كبيرة جدا ولا نملك منها شيء ، بل حسدنا عمي اللئيم وأخذها كلها منا ولم يراعنا في غربتنا بعد أبي .

طه وعندما قال ذلك الكلام راحت دموعه تسيل على خده و تتساقط دمعة تلو الأخرى على الأرض ويداه تقبضان على بعضهما بقوة . حيث جلست والدته

بقربه على الأريكة واضعة راحت يدها على رأسه , تمسح على شعره الأسود الداكن , تقبله بجبينه . وبيدها الأخرى تحاول بها مسح دموعه مخففة عنه قائلة :عُدنا إلى نفس الكلام يا بني ؟ وما الذي ذكرك بهذا الكلام الآن ؟

وبتجهم يعقب طه : ولمَ لا يا أمي ؟ ، أبي قد ترك لنا أملاكاً ما أكبرها وأكثرها ، ولم نحصل على أي شيء منها ! ، أملاكاً يا أمي لو لم يسرقها ذلك العم الحاقد لكنا اليوم في عيش هانئ . أين كنا وأين أصبحنا يا أمي . أمن العز إلى الذل ، ورغم كل هذا أنا أعمل في معامل مواد البناء وبأجر بالكاد أن يطعمنا نحن الاثنان معاً . للتو قد رأيت زوجة عمي اللعين . وهي متجهة نحو قصرها ومحاطة بعدد كبير من الحراس , كل ذلك كان من حقنا نحن يا أمي من حقنا نحن ..... فضلا عن الطبق الثالث الذي قمتي بوضعه على طاولة الطعام لكي لا تنسي أبي رحمه الله .

الأم وبيديها الساحرتين وبهمساتها الساحرة التي قد تسكت بركان عن الانفجار . هدأت من حزن طه قليلاً ، ذلك الحزن الذي يتسلل إلى قلبه بين الحين والآخر ليذرف طه دموعه حزناً على والده الذي فقده منذ سنوات ليست بالقليلة , و على إرثه الذي سرقه عمه منه بحسد وطمع وجشع !. وبيَديّ الأم الساحرتين وبهمساتها وقبلاتها نام طه على صدرها , نام طه هو مكسور الخاطر , بل نام طه وهناك بصيص أمل بأنه سيسترجع كل حقوقه من عمه الظالم ذات يوم . نام طه لتكمل والدته البكاء وحدها وترثي زوجها وتعاتبه على أخيه الذي سرق كل ما تركه زوجها من أملاك لها ولولدها طه.

فجأة يُطرق الباب ونادراً جداً ما يطرق باب منزل والدة طه في هذا الوقت من أليل ! . مصحوب باستيقاظ طه وتساؤله من الطارق ؟

والدة طه : من الطارق ؟

صوت من خلف الباب يقول :هذه أنا رحيل .

حليمة وهي تشرع بفتح الباب : رحيل ؟! أهلا بكِ يا عزيزتي .

تتجاوز رحيل عتبة الباب قليلا وهي ذات عمر يبلغ الأربعين ووجها وجه الشباب وبيدها طبق مغطىً بقماش أبيض .

والدة طه تحيي رحيل : أهلا بجارتنا الجديدة والعزيزة.

رحيل بابتسامة : شكرا لكِ يا عزيزتي حليمة . ولكن عصر هذا اليوم وبسبب ثرثرتنا نسيت أن أعطيك عربون صداقتنا . .....ناولت رحيل الطبق لحليمة وهما تضحكان معاً ، وكل هذا وطه يتساءل من هي رحيل ؟. حيث أن رحيل قد لاحظت أن طه يستغربها فهو لم يتعرف عليها سابقاً .

رحيل : يبدو أن هذا الوسيم هو ولدك طه الذي أخبرتيني عنه , أليس كذلك يا عزيزتي حليمة ؟

حليمة وهي تنظر لقرة عينها : نعم , هذا هو مهجتي و زهرة بيتي طه ...ثم أردفت قائلة : بني طه هذه جارتنا الجديدة رحيل , تعال والقي التحية علها .

طه وهو ينهض ويتقدم إلى السيدة رحيل و يعبر عن احترامه لجارتهم الجديدة : أهلا بك يا سيدتي . يسعدنا أن تكونوا جيراناً لنا .

رحيل :ما شاء الله ، يا له فتىً لبق الكلام , أهلا بك يا بني .

حليمة إلى ولدها طه : هي قد انتقلت إلى هنا منذٌ ثلاثة أيام تحديدا لتسكن في حينا مع ولدها ياسين . ستتعرفان على بعضكما لتكوّنا صداقة جميلة معاً .

طه : أعتقد أنني أعرفه فقد رأيته عصر اليوم قرب نهر المدينة , وكذلك قد رأيته مساء هذا اليوم أيضا وهو يشتري الخبز من متجر الحي المجاور . فقد استغربت وجود شخص غريب هذا اليوم في ذلك الحيّ .

رحيل إلى طه : هذا صحيح يا بني لقد طلبت منه أن يشتري لنا الخبز من متجر ما في هذه المدينة ... ثم أعقبت : حسناً يا حليمة أراكِ غداً .

حليمة وهي تمازح رحيل أثناء ما همت الأخيرة بالخروج من بيت والدة طه : نعم اراكِ غدا لنكمل ثرثرتنا .

ودعت رحيل حليمة , حيث كان الوداع مصحوباً بضحك السيدتين معاً .

(3)

لهيب شوقٍ مجهول

في صباح اليوم التالي ولأول مرة يستيقظ شبر من نومه و روح التفاؤل تملا صدره ، ذلك الصدر المليء بأوجاع السُعال ، واليأس من الشفاء ، ولأول مرة وبالرغم من إعاقته فقد استطاع وبعد جهد أن يتحول من فراش نومه إلى كرسيه المتحرك بنفسه . فتح باب الغرفة بهدوء كي لا يفيق شبير الذي كان يشاركه الغرفة على صوت فتح الباب . ولما خرج تفاجأت الأم لاستيقاظ شبر وحده مع تساؤلات كثيرة ، ومنها لمَ استيقظ شبر مبكراً على غير عادته؟ و من ساعده ليتحول من الفراش إلى كرسيه المتحرك ؟ حيث أجاب بتوتر لأنه خشيَّ أن تشعر والدته أن خلف كل ذلك هدف يدور برأسه : لديَّ رغبة بالجلوس في المتجر هذا اليوم ، وأنا من ساعدَ نفسي على أن أستقل الكرسي يا أمي . ثم هل تناولتما الفطور أنتِ وأبي ؟ لأني أريد أن أتناول الفطور معكما !

الأم وهي تخلط ما بين الاندهاش والفرح وقليل من التساؤلات التي دارت في رأسها وتضم شبر إلى صدرها : حسناً يا بني للتو وضعنا الفطور وسنتناول الفطور معاً . ولكن لا تتعب نفسك بأن تنتقل من فراشك إلى كرسيك المتحرك أرجوك , فأنا أخاف على صحتك .

شبر : أمي أعدكِ بأني سأحاول أن أتماثل للشفاء .

كوثر وقد بانت معالم الدموع على أطراف أجفانها : حسنا يا بني كلي ثقة بك وأنا سأساعدك على ذلك , بل كلنا سنساعدك يا حبيب قلب والدتك .

لم تكن نية شبر كذلك , بل إنه كان يريد أن يرى الشاب ياسين مجدداً ، فعندما سمع بأن ياسين قد اشترى الخبز من متجرهم ليلة البارحة , خطط لأن يجلس في المتجر لعل ياسين يأتي ليشتري الخبز من متجرهم مجدداً , ليتحدثا معاً , ولكن لسوء حظ شبر لم يأتي ياسين ليشتري الخبز من متجرهم حتى حل المساء وإغلاق المتجر ..... حينها كتب وقد أحنا رأسه إلى الأرض كشخص منكسر أصابه اليأس , وكأنه قد خسر شيء ما , شيء ثمين عزيز على قلبه :

" لقد قلتها سابقاً أن تفارق شخصاً قد أعجبتك أخلاقه وحسن كلامه ودخل قلبك وأحببته , صادفته في الطريق أو في أي مكان آخر , فلا تعرف اسمه ولا عنونه , فهذا فراق مُرٌ مذاقه لا يحتمل , و لا يحسد عليه صاحبه . ولكن حان الوقت الآن لأعاتب ياسين ذلك الفتى الذي ترك فراغاً في قلبي رغم أننا لم نتعرف على بعضنا البعض بعد . سأُعاتبه عتاب شخص كسره انتظارٌ خاسرٌ صاحبه . يا ترى ما الذي كنت ستخسره يا ياسين لو انك أتيت لتشتري الخبز منا هذه الليلة أيضا , لأراك وتراني بل لترى هذا المقعد الحزين الذي ستحرمه من عشاء هذه الليلة بعد أن وعد والدته فرحاً بأنه سيحاول أن يتماثل للشفاء ..... ما الذي أخرك لترى هذا الشخص المقعد المنكسر الذي أزدته من حيث لا تعلم يأساً إلى يأسه , كم أنت قاسي القلب يا ياسين . ليتك يا ياسين بل ليتك يا عزيز قلب شخص شعر بالانكسار , ترى هذه الرسالة التي كتبتها والتي لا أعلم هل

ستقرئها أم لا , ولا أعلم كيف أوصلها إليك أم إني سأحتفظ بها كما سأحتفظ بخيبة أملي على أن أللتقي بك هذا اليوم .....

التوقيع شخص سيزداد ألمه هذه الليلة , بسبب ما تعرض له من خيبة أمل ".

لقد كتب شبر ذلك العتاب على ورقة قد أخذها من أوراقٍ كانت في المتجر بقربه . وقبل الإغلاق جاء شبير مسرعاً ومرتبكاً . وكأن هناك أمراً خطيراً قد وقع .

شبر إلى شبير : ماذا هناك يا شبير ؟

شبير: مجموعة من العقارب قاموا بمهاجمة متجر بالقرب من هنا..... وأعقبت والدتهما : وما الذي ينوون فعله أولئك المشاكسين هذه المرة ؟...

فأجابها شبير : الضرائب .

كوثر: الضرائب ؟ ، وأي ضرائب ؟

شبير: لقد فرضت تلك العصابة على بعض متاجر هذه المدينة ضرائب ، والمتجر الذي لا يدفع الضرائب يقومون بتخريبه .

شبر : إن لم تستح فافعل ما شئت .

كوثر : وما الذي حدث مع ذلك المتجر ؟

شبير: لقد دافعنا عنه أنا وطه وآدم وقد ساعدنا ياسين ، ذلك الشاب الذي اشترى الخبز منكِ ليلة البارحة . فلولاه لما استطعنا الإفلات منهم ولقاموا بتخريب المتجر بالكامل , لقد كانوا مجموعة تتكون من أربعة أشخاص أقوياء والشر يتطاير من أعينهم ...وقاطعته والدته كوثر : وهل أصبت بمكروه يا عزيزي؟

شبير : لا يا أمي , فلقد لقناهم درساً لن ينسوه .

شبر وقد غمرته فرحته لم يشعر بها من قبل لحظة أن سمع باسم ياسين , وقد قال بعد أن تكتم عليها : وكيف استطاع ياسين مساعدتكما ؟ وأين هو الآن ؟

شبير بحماس : لقد أرسل آدم ليبلغ الشرطة بالأمر و بقي ياسين معنا لقد تشاحن مع أثنين منهم وأنا وطه وصاحب المتجر تشاحنا مع الاثنين الآخرين حتى أتى رجال الشرطة وهرب العقارب الجبناء .

الأم إلى شبير : لكن على حد علمي إن ياسين يسكن في الحي المجاور ما الذي أتى به إلى هنا ؟

شبير: لقد كان يريد شراء الخبز منا مجدداً وبذلك صادف هجوم العقارب على ذلك المتجر . لقد طلب مني أن أسبقه إلى هنا قبل إغلاق المتجر , لكي يستطيع شراء الخبز قبل الإغلاق . فيما بقي هو مع الأصدقاء وصاحب المتجر , لإغلاق ذلك المتجر الذي تهجم عليه العقارب .

وأثناء ذلك يدخل ياسين و بابتسامته المشرقة , ياسين ذلك الشاب الذي انتظره شبر طوال اليوم ليتحدثا معاً ويصغي لكلامه العذب الجميل الذي يبعث الأمل في النفس المنكسرة .

ياسين : مساء الخير .

رد الجميع : مساء الخير .

إلا شبر لأنه كان مشغولاً بالتمعن بوجه ياسين وضربات قلبه المتسارعة هذه المرة أيضاً . أما كوثر فلا تعلم لمَ بقدوم هذا الشاب هو نفسه ياسين تشعر أيضاً بضربات قلبٍ غريبة ؟! , أهو شعور غيبي يخبرها عن شيء ما ؟ أم أنها رسائل ألأرواح ؟ كوثر في تساؤل شديد الحَيرة , فلمَ عندما تنظر لهذا الشاب يصرخ قلبها الحنون , يا كوثر إنه فجر اللقاء .....

وعندما اشترى ياسين الخبز منهم قالت كوثر : لقد حدثنا شبير عن ما جرى مع المتجر الذي هجم عليه أولئك المشاكسين و كيف قمت بمساعدتهم .

ياسين : في الحقيقة شبير وأصدقائه هما من أنقذا الموقف , إذ قام أحد أصدقائه باستدعاء رجال الشرطة وبذلك هربت تلك العصابة .... .لمح ياسين خروج شبر من المتجر من خلال الباب الذي يربط ما بين المتجر وبيتهم..... ثم نظر ياسين إلى شبير وقال : شبير يسعدني أن أتعرف عليكم أنت وأصدقائك , إذ أنني جديد في هذه المدينة , وأريد تكوين صداقة جديدة .

شبير : يسعدنا ذلك يا ياسين .

ياسين وهو يمد يده لمصافحة شبير : حسناً إذاً ، احظر أصدقائك إلى المقهى الذي يقطن على حافة النهر , في هذا الحي .

شبير : اتفقنا إذاً .

لقد تسلل شبر إلى خارج البيت ، إذ خرج من المتجر من خلال الباب الذي يربط ما بين البيت والمتجر ومن ثم خرج من البيت ، ليحظى بلقاء ياسين على انفراد . ولما خرج ياسين من المتجر إذ وجد شبر بانتظاره . ياسين إلى شبر : هذا أنت ؟..... كنت أريد أن أنتعرف عليك إلا أنك خرجت من المتجر ولم تسنح لي الفرصة بذلك ، أقدم لك نفسي ياسين .

مد ياسين يده إلى شبر للمصافحة ، وأعقبه شبر بذلك أيضاً : وأنا شبر ، في الحقيقة انتظرتك طوال اليوم في المتجر لكي أُعرفك بنفسي إلا أنك لم تحضر، فلا اعرف عنوان بيتك ولا أعرف وجهة غير المجتر لأنني علمت بأنك اشتريت الخبز من هنا ليلة البارحة . فكنتُ متيقناً بأنك ستشتري الخبز منا مجدداً , خذ هذه الرسالة لقد كتبتها لتوي .

ياسين : حقاً ؟ وهل هناك أمر متعلق بي لتنتظرني كل هذا الانتظار ؟

ياسين بعد أن أكمل قراءة الرسالة : يا ليَّ من شخص قاسي القلب حقاً , ولكن والحق أقول لو علمت بأنك تنتظرني هكذا لأتيت راكضاً إليك حافي القدمين .

ولكن لم أكن على علم بهذا الانتظار .....قاطعه شبر : هون على نفسك ومن أين لك أن تعلم بانتظاري لك ! , صدقني كنت أريد أن أتعرف عليك .

ياسين : لي الشرف في التعرف عليك يا شبر , واعتذر لك ثانية إذ جعلتك تنتظر طوال اليوم , فلم يكن لي علم بذلك .

شبر : لا تهتم يا ياسين أرجوك .

ياسين بابتسام : هل يمكنك أن تأتي مع شبير غداً لنتعرف على بعضناً أكثر؟ لقد أعلمته في المكان الذي سنلتقي فيه ؟.

شبر يعقبه بابتسامٍ أيضاً : يسعدني ذلك .....أثناء ذلك إذ قدم شرطي إلى المجر ليشتري الخبز وقبل دخوله المتجر : مرحباً شبر كيف حالك يا بني ؟

شبر : أهلا بالشرطي أمين العزيز , كيف حالك ؟

الشرطي : حمداً لله إذ أنني استطعت القدوم للمجتر لشراء الخبز قبل موعد إغلاقه .....يدخل الشرطي إلى المتجر .

ياسين : حسناً يا عزيزي شبر أراك غداً .

(4)

روح القيادة

في اليوم التالي اجتمع كل من (شبر وشبير وطه وآدم وفارس و نجاح و نعيم و زهير) ، اجتمع كل هؤلاء الأصدقاء على الطريق المؤدية إلى النهر بعد أن ابلغهم شبير بأن يحظروا قرب المقهى الذي يقطن على حافة النهر ذلك المقهى الذي اختاره ياسين في وقت هو حدده لهم مع شبير . اجتمع الأصدقاء عند متجر الخبز متجر عبد الرحمن حيث كان نقطة الانطلاق.... وعندما سأل فارس عن الأمر المهم الذي أخبرهم به شبير .. حينها قال شبير: سأعرفكم على صديق جديد يريد الانضمام إلى مجموعتنا... .أعقبه فارس : ومن هذا الصديق الجديد ؟

شبير : يدعى ياسين وهو... .فقاطعه نجاح : أتقصد ياسين ذلك الشاب الذي انتقل إلى هذه المدينة من أيام قلائل ؟

شبير: أتعرفه؟..... فتدخل نعيم : بالطبع نعرفه , لقد أنقذنا أنا ونجاح و فارس من أن نقع في فخ عصابة العقارب , لقد ساعدنا وأفلتنا من الوقوع في معركة خاسرة معهم ... .فقال آدم : ونحن كذلك فقد ساعدنا أنا و طه وشبير بالتصدي لهجوم عصابة العقارب على متجرٍ في هذا الحي . إنه فتىً شجاع و طيب القلب حقاً .

زهير : أما أنا فلم أحظى بفرصة التعرف عليه بعد .

شبر وهو جالس على كرسيه المتحرك والذي يدفعه أخيه شبير : إن عصابة العقارب تمادوا كثيرا في أفعالهم الشريرة . فهم قد علموا أن هذه المدينة لا يوجد فيها من يتصدى لهم من ساكنيها ، فرجال الشرطة لا يستطيعون فعل شيء تجاههم ما لم يتعاون أهل هذه المدينة مع الشرطة . وأهل هذه المدينة يخافون من بطشهم .

أثناء الحديث الذي دار بين الأصدقاء عن عصابة العقارب , فالبعض يريد التصدي لهم والبعض يرفض ذلك لأنهم يضنون أنهم ليسوا نداً لتلك العصابة الشرسة . حتى قاطعهم شبر : أليس ذلك هو ياسين الذي ينتظرنا ؟.....حيث كان ينتظرهم على إحدى الطاولات المقهى على شرفة تطل على حافة النهر, وهو غارق بقراءة كتاب .

حيث أجاب نجاح بالإيجاب : نعم ، انه هو ، ولكن حتى الآن لم يحضر كل من سامر و مراد رغم أنهما كانا متحمسان للتعرف على ياسين .

زهير : سيتعرفان عليه لاحقا .

اجتمع الأصدقاء ، حيث كان ذلك الاجتماع هو الاجتماع الأول وهو اجتماع التعارف كل منهم عرف عن نفسه ، تسامروا تضاحكوا معا ، والبهجة كانت مرسومة على وجوههم بخطها العريض . حتى جاء مراد يهرول بوجهه الشاحب . هنا حُبست أنفاس الجميع بصوت , واحد والتعجب والذهول من حالة مراد التي قدم فيها أخمد ضحكاتهم مرة واحدة . وتحولت تلك الوجوه المبتهجة

إلى وجهوه يعتريها القلق بعيون متسعة حيث قال مراد بوجهٍ حزين وصوت كسره اليأس : لقد أخذوا أخي سامر .

فارس بتعجب : من أخذه ؟!

مراد : إنهم رجال الشرطة .

زهير وهو يمسك يد مراد بيدٍ ويده الأخرى على كتفه ليجلسه على مقعده إلى الطاولة : ولماذا يا عزيزي ؟ ما السبب؟

مراد : لأنهم يظنون أنه متورط مع عصابة العقارب .

ياسين وهو يقدم له الماء : وهل هو حقاً متورط معهم .

مراد وبكل ثبات : أقسم لك أنه بريء من هذه التهمة ...قال هذا الكلام وهو مستغرب هذا الشاب , إلا انه قد خمنّ من يكون .

شبر : لكن لمَ اتهموه هو بالذات على أنه متورط معهم ؟

مراد : لان عصابة العقارب قد طلبوا منه الانضمام لمجموعتهم فرفض ذلك، بعدها نصبوا له فخاً فأوقعوه على أنه أحد أفراد العصابة , حيث استدرجوه لأحدى متاجر المدينة ، وقتها كان لدى رجال الشرطة خبراً بأن أحد أفراد تلك العصابة القذرة سيقدم لنفس المتجر ليأخذ الضرائب فأمسكوه على أنه وقع بالجرم المشهود , وقد طلب مني أن أخبركم على أمل أن تساعدوه .

نعيم : وما الحل الآن يا جماعة ؟ عصابة العقارب ليس من الهين مواجهتها وجها لوجه , فهم شرسون وعددهم يفوق عددنا أضعافاً مضاعفة .

مراد وهو يمسك بيد شبر : أرجوكم أمي لن تتحمل ذلك , وضعها صعب عندما سمعت بأن رجال الشرطة قبضوا على أخي سامر .

شبر وهو يربت على كتف مراد هون عليك يا صديقي... ثم يلتفت إلى أصدقائه : ما العمل الآن يا أصدقاء ؟ لمَ هذا السكوت !

ياسين وهو ينهض بكل ثقة وثبات : أسمعوني يا شباب يجب أن نساعد سامر وندخل السرور على قلب والدته بأي طريقة كانت .

شبير : ولكن كيف ؟

ياسين بعد أن جلس و وضع يده على كتف شبير : أتذكر ذلك الشخص السمين من عصابة العقارب الذي تشاحنا معه ليلة البارحة أثناء قدومه مع أربعة من أفراد العصابة لأخذ الضرائب ؟

شبير : نعم أعرفه , إنهم ينادونه (ثقيل) .

ياسين وقد ضرب الطاولة التي يجلسون عليها بقبضته وبكل ثقة وحماس : عظيم إذاً ، هذا هو هدفنا... ثقيل .

زهير: وكيف ذلك يا صديقي ياسين ؟ , أنت تعلم بان عصابة العقارب أقوياء جداً . فضلاً عن عددهم فهم كثيرون , ولن نستطيع مواجهتهم بعددنا القليل هذا .

ياسين : ومن قال بأننا سنذهب لمواجهتهم .

فارس : إذاً كيف سنصل إلى ثقيل ؟

ياسين : اسمعني يا عزيزي فارس ، سنمسك بثقيل بعد أن نستدرجه بطريقة ما ونرغمه على الاعتراف..... ثم ينضر إلى مراد بطرف عينيه : هذا إذا كان سامر ليس من العصابة حقاً .

مراد ينهض من كرسيه وبكل تجهم : أُأكد لك إنه بريء من هذه التهمة ، أُقسم لك , لماذا لا تصدقني ..... لقد كان مراد أصغرهم سناً ولم يكن يستطيع أن يحافظ على مشاعره , فمثل هذا الموقف كانت دموعه على مشارف أجفانه , ولصغر سنّه لم تكن لديه المقدرة على كتمانها .

ياسين : لا بأس يا مراد أردت التأكد فقط صدقني .

شبير : ياسين هل تعلم أن ثقيل أحد أفراد عصابة العقارب ؟ ، أليس هذا خطيراً؟

ياسين وهو يضع يده على كتف شبير : عزيزي شبير أذا كانت هذه حال مراد , فما حال والدته ؟

مراد : أقسم لكم إن لم يخرج سامر من السجن فقد تسوء حالة والدتي أكثر و أكثر .

آدم وهو الآخر ينهض وبثبات وثقة كبيرة : ياسين أنا معك ، سنمسك بذلك السمين الذي يدعى ثقيل ونخرج سامر من السجن .

نعيم ونجاح وفارس ينهضون أيضاً وروح الثقة تملئ صدورهم بل و تكاد أن تخرج من عيونهم : ونحن أيضاً معكم ..... واستطرد فارس مازحاً : لنجازف هذه المرة , ولنجعلها مغامرة جماعية .

أثناء ذلك إذ ينظر شبر بإعجاب كبير إلى ياسين وكيف برزت روح القيادة هذه بهذه السرعة . فضلا عن انه كان يريد أن يشاركهم في هذه المهمة ولكن.....ولكن كانت حالته وكرسيه المتحرك يحولان دون ذلك , لذا اكتفى بالصمت .

شبير : وأنا أيضاً معكم يا أصدقاء لكن علينا رسم خطة محكمة بدقة .... ثم يحول نظره إلى ياسين هل تفكر في خطة ما يا ياسين ؟

ياسين : نعم . ولكن حتى الآن لم نسمع شبر ، أهو معنا أم لا ؟

شبر وقد توتر قليلاً وأجاب بتلعثم وبابتسامة مصطنعة : لكن أنت تعرف حالي جيداً هل أستطيع أن أنفعكم بشيء ؟

ياسين وقد وضع يده على كتف شبر : جزء كبير من الخطة التي سأضعها يعتمد عليك يا عزيزي .

شبر وقد تفاجئ : حقاً كيف ؟... .يقاطعهما نجاح : نحن نصغي للخطة يا صديقي ياسين .

تكلم ياسين أثناء ما هم الآخرين بالجلوس : أسمعوا يا أصدقاء أولاً نحن نعلم بأن عصابة العقارب تجمع الضرائب من متاجر معينة من هذه المدينة فيجب أن نعرف أولاً من هي تلك المتاجر . والواضح أن ثقيل هو المكلف بجمع تلك الضرائب , حيث شاهدته لأكثر من مرة وهو يطالب المتاجر بدفع الضرائب و الظاهر أن مهمة جمع الضرائب من المتاجر قد أوكلت إليه .

نجاح يقاطع ياسين والحماس يبدو واضحاً من خلال نبرات صوته : مرحا يا صديقي , وأنا أعرف المتجر القادم والذي يجب أن يدفع الضرائب ، وعلى الأرجح سيكون موعد العصابة مع ذلك المتجر عصر هذا اليوم .

ياسين : هذا عظيم يا صديقي ، لكن ينقصنا شيء آخر .

زهير : وما هو ؟

ياسين : نحتاج إلى أزياء الشرطة ، سيكون هذا أفضل إذ أن ثقيل لن يأتي وحده لذلك المتجر . فينبغي أن يتنكر اثنان منا على الأقل بزي الشرطة لإخافة الباقين حتى نتمكن من أن نُوقع بثقيل وحده .

فارس: دع هذه المهمة لي يا صديقي أنا أستطيع أن أدبر لك أزياء الشرطة ولكن... .يقاطعه ياسين: ولكن ماذا يا عزيزي؟

فارس: الأزياء التي استطيع أن أُدبرها لكم قد تكون قديمة بعض الشيء ، أي أنها ليست كالتي يرتديها رجال الشرطة الآن .

ياسين : المهم أن تحضرها معك بعد ظهر هذا اليوم يا عزيزي فارس ، فعندما يكون العقارب في حالة من الخوف والذعر من رجال الشرطة المزيفين لا يمكنهم التمييز بين زي الشرطة الحالي وزيهم القديم , فتفكيرهم سيكون مشغولا بكيفية الهرب فقط ..... ثم ينظر ياسين إلى شبر واضعاً راحة يده على كتفه : عزيزي شبر , أعتقد أنك تعرف أحد رجال الشرطة أليس كذلك؟

شبر: هل تقصد أمين ؟ ، ذلك الذي ألقى التحية عليَّ عندما كنا نتحدث قرب متجرنا ليلة البارحة ؟

ياسين : نعم هو بالذات ، فعندما نجبر ثقيل على الاعتراف فستكون مهمتك هي إبلاغ الشرطي أمين بذلك وكذلك , إبلاغه عن مكان ثقيل كي يلقي القبض عليه.

شبر : حساً هذا سهل ، لأن الشرطي أمين متعاون معي , بل ومع كل عائلتي.

نجاح : ياسين هل يمكنك شرح الخطة مع توزيع المهام علينا ؟

ياسين : حسناً يا عزيزي ، بما أن نجاح وزهير يتميزان ببُنية جسدية وطول مناسب فمهمتهما التنكر بزي الشرطة ...

نجاح و هو يضرب كف زهير والسرور واضحاً على وجهه : هذا رائع . لقد أعجبتني الخطة منذُ اللحظة .

ياسين يشرع بإكمال بناء الخطة : شبير و طه و مراد حالما يستقر العقارب عند المتجر المُطالب بدفع الضرائب عليكم الظهور ومناداة الشرطة المزيفين أي زهير ونجاح , بأن العقارب تريد الهجوم على ذلك المجتر . في هذه اللحظة بالذات..... يقاطعه زهير , فجأة والثقة تكاد أن تخرج من عينيه : سنظهر أنا ونجاح ونجري باتجاه العقارب على أساس أننا نريد القبض عليهم.

ياسين: أحسنت يا صديقي . ثم هل يملك أحدكم حبلاً .

طه : نعم ، أنا أملك حبلاً طويلاً ومتيناً أيضاً ، ولكن ما الفائدة منه ؟

ياسين : سأخبرك ما الفائدة منه ، فارس وآدم يجب أن يكمن كل واحد منكما على جانبي الطريق والذي يقع عندها المتجر وسيكون الحبل ممتداً بينكما . فعندما يجري العقارب يجب أن يجتاز الحبل كل العقارب المتواجدين هناك باستثناء ثقيل... .يقاطعه آدم بحماس : وعندما يقترب ثقيل نشد الحبل أنا وفارس ليقع ذلك السمين على الأرض .

ياسين: أحسنت يا عزيزي آدم .

فارس وهو يخاطب آدم مازحاً : لكن يا آدم عليك أن تثبت نفسك جيداً عندما يحين دورنا .

آدم : ولماذا ؟

فارس : كي لا يسحبك ذلك السمين عندما تعلق إحدى قدماه بالحبل .

يضحك الجميع... ثم يقاطعهم ياسين : وأنا سأستأجر عربة ولن أحضر السائق معي ، وأنا من سيقودها .

مراد مخاطباً ياسين : ياسين إذا امسكنا بذلك السمين المعتوه أين سنحتجزه ؟

ياسين : لا تقلق يا عزيزي مراد , أعرف مجموعة من البيوت المهجورة بالقرب من المدينة ، سنحتجزه هناك.... والآن يا أصدقاء , لنذهب وموعدنا بعد ظهر اليوم وسنجتمع هنا في هذا المقهى.

ذهب الجميع و روح التكاتف والشجاعة بادية عليهم ، ذهب فارس لإحضار أزياء الشرطة . في حين ذهب طه لإحضار الحبل الذي اخبر ياسين عنه ، وذهب مراد مسرعاً لوالدته وقدماه لا تكادان أن تحملاه . وهو ينادي والدته حتى قبل أن يدخل إلى منزله من شدة الفرح . حيث كانت والدته غارقة بدموعها والحزن الشديد كاد أن يأكل وجهها .

(5)

جبر خاطر أُم.....نُقش الحزن على قلبها

بعد ظهيرة يوم ذلك الاجتماع بدأ الأصدقاء بالتجمع واحداً تلو الآخر باستثناء شبر لأن وضعه حال دون ذلك الاجتماع ، حيث كان ينتظر بقلق نجاح الخطة ليبدأ دوره في إخبار الشرطي أمين عندما يُكتب النجاح لمهمة الأصدقاء . حيث ذهب الأصدقاء إلى المتجر الذي اخبرهم نجاح عنه , ذلك المتجر الذي ستطالبه العصابة بدفع الضرائب ، حيث تمركز كل من فارس وآدم في أسفل الطريق والتي يقع عليها المتجر , وكل منهما اتخذ مكاناً للاختباء في الفروع التي بين المنازل المتواجدة هناك , حيث كل منهما اتخذ موقعاً مقابل للآخر لشد الحبل ، في حين تمركز بقية الأصدقاء في أعلى الطريق الواقعة على المتجر في أحد الفروع الضيقة المتواجدة هناك والمقابلة لذلك المتجر . انتظروا... و انتظروا.... ثم انتظروا.... حتى أوشكت الشمس على المغيب .

زهير وهو متنكر بزي الشرطة ومن شدة ملل لانتظار : نجاح هل أنت متأكد بأن هذا هو المتجر المستهدف ؟

نجاح وهو الآخر متنكر بزي الشرطة أيضاً والتوتر بادٍ على وجهه : أنا متأكد بأن هذا هو المتجر ، ولكن لا أعلم لمَ تأخروا هكذا ؟! , فقد شكا لي صاحب المتجر ذات مرة لي وقال بأن عصابة العقارب يقدمون إليه في نهاية هذا اليوم من كل شهر ليأخذوا الضرائب المفترضة عليه .

نعيم : ياسين ما هذا الكتاب الذي أراك غارقاً بقراءته ؟ ... يعقبه شبير أيضا : هذا صحيح , فلعدة مرات أراك تحمل هذا الكتاب يا ياسين .

ياسين بابتسامة : انه كتاب اطلاعي , فهو يتكلم عن مسؤولية الفرد في إصلاح المجتمع .

طه : وهل لكل فرد المسؤولية في إصلاح المجتمع ؟

ياسين : الكل .... الكل تقع على عاتقهم مسؤولية الإصلاح تجاه مجتمعه .

مراد : ولكن كيف ذلك ؟

ياسين : لكل منا المقدرة على تقديم شيء يخدم مجتمعه سواء كان اختراعا أو كتابا أو أن يكون قائدا لمجموعة أفراد يبثون الوعي في مجتمعهم أو أي شيء في سبيل خدمة مجتمعه , ولكن سطور هذا الكتاب ركزت على أصحاب القلوب ذات التربة الخصبة .

زهير : ومن هم أصحاب القلوب ذات التربة الخصبة يا ياسين ؟

ياسين : إنهم الشباب يا عزيزي زهير , إنهم الشباب , ويقصدنا نحن بالمرتبة الأولى .

نجاح : ولماذا يطلق هذا الصفة على الشباب بالذات ؟

ياسين : لأن الشباب هم الركيزة الأساسية في كل المجتمعات . فالمجتمع إذا ما أراد أن يرتقي بكل نواحيه يجب أن عليه أولا أن يبدأ بالشباب , نعم قد تكون الطفولة والصبا الأساس واستغلالهما عامل مهم . ولكن الشباب قلوبهم كالتربة الخصبة ما يُزرع فيها ينبُت . ولو علم ذلك الشاب ما ينتظره في مقابل ذلك لأفنى حياته في سبيل أن يخدم مجتمعه , نعم فإنه حتما سيضحي بالوقت والمال وكل شيء , لأن المقابل لهو أغلى ما في الوجود حقاً انه لأمر عظيم حقاً .

شبير : وما هو المقابل يا ياسين ؟

فجأة يظهر ثقيل وهو يخرج من احد فروع ذلك الشارع . ويظهر خلفه مباشرة خمسة من أفراد العاصبة , عصابة العقارب .

نجاح وقد انتابه الخوف والتوتر بعض الشيء : لقد ظهروا إنهم هناك .

ياسين وهو يغلق الكتاب الذي كان بحوزته والذي كان يقرأه أثناء انتظار العقارب : استعدوا يا أصدقاء لقد اتفقت مع صاحب المتجر بأن يرفض تسليمهم أموال الضرائب ليستفزهم ويثير ضجة تساعدنا على نجاح الخطة .

ثقيل وهو يتناول إحدى قطع الحلوى والتي أخذها من الرفوف الخارجية للمتجر المقصود , وينادي على صاحب متجر الحلوى بكل تكبر واستعلاء : يا هذا أين مستحقاتنا من الأموال .

يرد صاحب المتجر : أي مستحقات وأي أموال تقصد ؟ ليس لكم عندي أي أموال , هيا اذهب من هنا يا كتلة اللحم .

ثقيل و بعصبية واحمرار وجهه الذي انتفخ من شدة الغضب وعيناه المتسعتان : ماذا ؟! كيف تجرؤ أيها العجوز الخرف ، فلتكن على ثقة تامة بأنك إذا امتنعت عن الدفع فسنقلب متجرك هذا رأساً على عقب ، أفهمت يا هذا .

أثناء محاولة من صاحب متجر الحلوى لاستفزاز العقارب ليصنع بعضا من الفوضى ليمهد ظهور الشرط المزيفين ، يصرخ كل من شبير و طه و مراد وهم ينادون على الشرطة . يصاحب ذلك ارتباك وخوفٌ قد دَب في نفوس العقارب ، أثناء مناداة أولئك الثلاثة على الشرطة إذ يظهر نجاح و زهير بزي الشرطة المزيف وهما يأمران العقارب بالتوقف وتسليم أنفسهم للعدالة ، إذ يهم العقارب بالهرب ، كان الحبل موصول ما بين فارس و آدم حيث أن جميع العقارب قد اجتاز الحبل باستثناء ثقيل لثقل حركته وسرعته البطيئة ولحظة وصوله للحبل إذ شد الحبل كل من فارس و آدم و أعقب ذلك سقوط ثقيل ، وأمسك به الشرطة المزيفين وقيدوه بالحبل .

فارس ويكاد أن ينفجر من الحماس : صدقوني يا جماعة كأني أوقعت بفيل ضخم .... .ويعقبه ضحك كل الأصدقاء .

ثقيل والحبل ملفوف على كل جسمه والخوف أصبح عائقاً أمام لسانه الذي تلعثم لروية تجمع الشرطة المزيفين مع أصدقائهم : من أنتم ؟! وماذا تريدون مني ؟ اتركوني ؟

زهير: نعم سنتركك يا ثقيل حالما تنفذ ما نريد منك .

ثقيل : ماذا ؟ و ما الذي تريدونه مني ؟

ياسين وقد جاء بالعربة : ستعرف عندما نصل لوجهتنا .

ثقيل وبعينيه المتسعتين وازدياد خوفه أكثر : وأين هي وجهتكم ؟

آدم : إلى مطعم فخم أكثر مما تتخيل أيها السمين ... يعقبه بالضحك كل الأصدقاء .

ياسين وهو يعصب عيني ثقل بقطعة قماش سوداء يخرجها من جيبه : لنحمله ونضعه في العربة يا جماعة .

فارس : هل تمزح يا ياسين ؟! نحتاج إلى رافعة لنرفع بها هذا الفيل الضخم .

ثقيل وهو يصرخ : لا تناديني بالفيل يا هذا .

الجميع يتعاون على حمل ثقيل إلى العربة . وانطلقوا إلى البيوت المهجورة والتي تقع بالقرب من المدينة حيث قاموا بتقييد ثقيل بسلسلة من إحدى قدماه

في أحدى تلك البيوت و أوصلوا السلسلة إلى إحدى النوافذ الداخلية في البيت المهجور .

ياسين : اسمعني يا ثقيل في الحقيقة يعزّ علي تركك هنا ، ولكن سنفعل هذا لأمرٍ ضروري جداً . فيه تحقيق العدالة , وجبر خاطر أُم قُمتم بنقش الحزن على قلبها .

ثقيل والقلق والتوتر والخوف قد اجتمعوا لديه : ولكن ماذا تقصد ؟ أرجوكم اخبروني ما سبب احتجازكم لي ؟

مراد : اسمع أنت ورفاقك الحمقى قد أوقعتم بأخي سامر عندما رفض طلبكم بالانضمام إلى عصابتكم البغيضة . وألصقتم تهمة به بعد أن نصبتم له فخاً عند إحدى متاجر المدينة , هيا اعترف ، وإلا... يقاطعه ثقيل : أنا لا اعرف عن ماذا تتحدث !

مراد وهو يحاول الهجوم على ثقيل و بعصبية محاولاً لكمه : أنت تكذب , أنا اعرف أنكم أنتم من دبر كل هذا... فأمسكه طه مهدئا من روعه : لا بأس يا صديقي .

آدم جنباً إلى ياسين : ياسين كيف سنجبره على الاعتراف ؟ يبدوا انه مصرٌ على النكران .

ياسين وقد أومأ إلى الأصدقاء بالخروج من الغرفة التي احتجزوا فيها ثقيل , وبعد أن استقروا خارج الغرفة : هذا سهل يا عزيزي آدم ، سنتركه يتضور جوعاً . وبذلك سيعترف بسرعة ....يقاطعه فارس و زهير ونجاح بالضحك .

زهير : في الحقيقة أنا قد خطرت عليَّ مثل هذه الفكرة .

ياسين : لكن... . يقاطعه نجاح : لكن ما ذا يا صديقي ؟

ياسين : ليس حلاً صائباً , ولكن ليس لنا غير هذا الحل الموجع بالنسبة لثقيل.

مراد : وماذا الآن يا ياسين .

ينظر ياسين إلى مراد واضعاً راحة يده على كتف مراد : عزيزي مراد لقد حان وقت العشاء ويجب أن تذهب إلى والدتك كي لا تقلق عليك . و أترك هذا الأمر حتى الصباح وسنرى ما العمل .

يعود ياسين إلى الغرفة التي احتجزوا ثقيل فيها وهو يخاطب ثقيل : اسمعني يا ثقيل , يعز عليَّ تركك هنا بدون طعام ، فبهذه الطريقة ستعترف بأنك أنت ورفاقك قد أوقعتكم بسامر الأخ الأكبر لمراد ، بتهمة سرقةٍ هو بريء منها .

ثقيل والقلق ما زال مصاحباً له : اسمعني يا هذا أنا لا أعرف عن ماذا تتحدث ، لذا فك وثاقي ودعني أذهب من هنا .

ياسين : كما تريد إذاً , ستبقى هنا لنجبرك جوعاً على الاعتراف ... ينظر ياسين إلى بقية رفاقه : هيا يا أصدقاء فلنذهب لقد تأخرنا .

ثقيل وبصوت مرتفع : إلى أين تذهبون و تتركوني هنا ؟ أرجوكم فكوا وثاقي، لا أريد أن أبقى في هذا المكان .

خرج الجميع ، وأغلقوا الباب خلفهم ، وركبوا جميعاً في العربة وانطلقوا إلى منازلهم ... .

فارس وهو مبتسم والسعادة تغمره : لا أصدق بان خطتنا نجحت حرفياً .....ثم حول نظره لـ(ياسين) بإعجاب حيث قال في قرارة نفسه : يبدُ أن هذا الفتى ليس عادياً فروح القيادة قد كانت واضحة وبارزة عليه , بل حتى طريقة حديثه , كانت مختلفة عنا جميعا .

طه : لقد كانت خطة مرسومة بدقة... ثم حول نظره إلى ياسين الذي كان يقود العربة بإعجاب أيضاً وهو يبتسم... . التفت إليه ياسين وقال : لم تكن لتنجح الخطة لولاكم يا صديقي .

لقد كان شبير يريد إعادة سؤاله الذي طرحه على ياسين قبل قدوم عصابة العقارب , ذلك السؤال المتعلق بما هو المقابل لأصحاب القلوب ذات التربة الخصبة ؟..... ولكن كان يرى بان الوقت ليس مناسباً لذلك . فقد كان همه أن يعرف ما هو المقابل لذلك , لأنه كان يشعر بان المقابل أمرٌ عظيم وكبيرٌ جداً لذا اجل السؤال إلى وقت آخر ....

زهير هو يخلع أزياء الشرطة القديمة مع نجاح : أكثر ما أعجبني في الخطة هو التنكر بزي الشرطة فقد شعرت بأنني امثل القانون حقاً .

نجاح : هذا صحيح , ولا تنسى فقد شعرتُ باني صاحب سلطة قوية عندما هرب العقارب لحظة تقدمنا نحوهم .

يقاطعهما ياسين : يا أصدقاء فليخبرني كل منكم عن طريق منزله كي أوصلكم بالعربة , وغدا سنلتقي في مكاننا المعتاد عند المقهى في تمام الساعة الثامنة صباحاً ، لا تنسوا هذا الموعد.....هتف الجميع بالإيجاب.

(6)

زهرة البنفسج

بعد أن أوصل ياسين كل الأصدقاء إلى منازلهم باستثناء طه لأنهما يقطنان في نفس الحي ، وعندما كانا في طريقهما إلى منزليهما ، لاحظ ياسين أن طه شارد الذهن بعض الشيء.....أثناء ذلك قال طه وهو يزفر بحزن وبصوت خافت : قد أتأخر عنها .

ياسين وهو مبتسم : من ؟

طه وهو متفاجئ لأن ياسين قد سمع ما قاله لتوه ، فرد بتلعثم : ماذا ؟... لا, لا شيء يا عزيزي ياسين , لا شيء .

ياسين وهو مازال مبتسماً : حسناً..... ياسين لم يكن يريد إحراج طه بتساؤل كان يدور في ذهنه ، لأنه لم يتعرف على طه إلا في هذا اليوم فقط ، و التساؤل هو لماذا أرى طه والهم يبدو واضحا على وجهه ؟... فقرر أن يسأل شبر لأنه

صديق قديم لـ(طه) . فقد لاحظ ياسين أن طه ليس فتىً فقيراً كما يبدوا عليه , فالذي يريد أن يمعن النظر بـ(طه) سيجد مظاهر النبل واضحة عليه بدون شك .

وصل كل منهما إلى منزله .

فلحظة وصول طه إلى منزله قال وهو في عجلة من أمره : أمي أرجوكِ قومي بأعداد العشاء لي بسرعة ريثما أستحم .

حليمة بعد أن دخل طه إلى الحمام : ولكن لمَ هذا التأخر يا بني ؟ ولم تريد الخروج بسرعة هكذا ؟ ، ماذا هناك يا عزيزي ؟ اخبرني أرجوك ... ثم إن العشاء جاهز . و في الآونة الأخيرة أراك كثير التأخر عن منزلك , ولست صغيرا لأعاقبك يا بني , فقد كبرت يا عزيزي طه .

طه وقد دخل إلى الحمام كي يستحم : صدقيني يا أمي لا شيء هناك , فقط لدي موعد مهم .

حليمة : آمنت بالله , ولكن مع من هذا الموعد ؟

استحم طه وبعد تناوله العشاء مع والدته ولبس أجمل ما لديه من الثياب و هم بالخروج بسرعة وهو يقول بقيَ القليل من الوقت وهو يستنشق عطر زهرة بنفسجية اقتطفها من حديقة والدته والبهجة قد رسمت على وجهه وقد كان متلهفاً بشدة لذلك الموعد . حتى وصل إلى حديقة عامة ورغم أن الوقت متأخر

من ذلك الليل لم يكن في الحدقة سوى فتاة يبدو أنها كانت تنتظره , أي انه كان على موعد معها . حيث كانت جالسة على إحدى مقاعد الحديقة .

طه : أظنني قد تأخرت..... أليس كذلك يا ميار ؟

ميار : لي رغبة كبيرة بتوبيخك يا عزيزي , ولكن لأجل تلك الزهرة الجميلة سأعفو عنك .

طه بابتسامة : أنا آسف لتأخري يا عزيزتي .

ميار وقد نهضت واقتربت منه : إذا تأخرت مرة أخرى فسأشكوك عند القاضي الخاص بنا .

طه بتساؤل : القاضي الخاص بنا ؟

ميار : نعم , القاضي الخاص بنا ؟

طه وما زالت علامات الاستفهام بادية على وجهه : و من هو القاضي الخاص بنا ؟

ميار بعد أن أخذت الزهرة من طه الذي ناولها إياها , وقالت بعد أن استنشقت عطرها : أنه حبنا السري ، ذلك الحب الذي سقيناه بماء شوقنا لبعضنا البعض بين الحين والآخر ، ذلك الحب الذي يشبه حب روميو وجولييت..... .ثم استطردت تقول : أُراهن أنها من حديقة عمتي فهي تحب هذه النوع من الزهور كثيراً .

طه : نعم هذا صحيح .

ميار وهي تشم الزهرة البنفسجية مرة أخرى : ما أجمل عطرها .....تجلس ميار بعدما جلس طه واضعة رأسها على كتفه ..

ميار : هل تعلم يا عزيزي طه ؟ .....صمتت لحظة.....ثم استطردت تقول : أنا دائما أفكر في مستقبلنا . وكثيرا ما أقول كيف سينتهي بنا المطاف؟ كيف وأين ؟..... يقاطعها طه : أرجوكِ لا تكملي .....قال هذا الكلام وقبضتا يداه تشدان على بعضهما وكأن الحسرة من أعلى وجهه تقول هذه أنا.

ميار تعتدل في جلستها وبصوت ينم عن حزن شديد : لمَ لا يا طه لم لا , فأنا خائفة من أبي أن يسلبك إياي كما سلبك ارث والدك .

طه : ميار أرجوكِ ..... تقاطعه ميار : أنا أشعر بالخجل منك ومن والدتك لأنني أعيش في قصر بل في ثروة هي من حقك أنت ووالدتك تلك الثروة التي استولى عليها أبي عندما توفي والدك..... طه يقاطعها وبرأسٍ محني للأرض : ولكن ما ذنبك أنتِ ؟ لا ذنب لكِ أنت و لا والدتك فأنتما مجبرتان على العيش في كنف عمي ... .ثم اخذ طه يربت على ظهرها بعد أن ضمها إلى صدره مخففاً عنها حزنها الذي بسببه راحت دموعها تنزل واحدة تلو الأخرى على خدها . طه محاولاً التخفيف عنها ، وقص عليها ما جرى له مع أصدقائه ، ويحكي لها المواقف الطريفة و المضحكة التي جرت معهم أثناء تنفيذ خطة الإمساك بثقيل . إلى أن شارف وقت منتصف الليل ثم ودعا بعضهما

..... أثناء سير طه عائداً إلى منزله كان يشعر أن بصيص الأمل ذاك أصبح شعلة أمل كبيرة كان ذلك الأمل يخبره بأن ارثه وارث والدته ذلك الإرث الذي تركه لهما والد طه والذي سرقه عمه حاتم منه سيستعيده ذات يوم , نعم كان يشعر بنفحات أو فيض من التفاؤل كلما ذكر ياسين وبقية أصدقائه , يخفق قلبه خفقات فرح رغم الحال التي يعيشها . فليس سهلاً على الإنسان أن ينتقل من عزٍ إلى ذُل , حيث قال : ارحموا عزيز قوماً ذُل , فليس من السهل عليَّ أن اترك الإرث الذي تركه لي والدي بيد من سرقه مني وهو يغدو ويروح أمام ناظري .....نعم رغم كل ذلك كان طه يستبشر خيراً بـ(ياسين) وبقية أصدقائه إذ انه كان واثقاً بأنه ذات يوم سيستعيد حقه .....

(7)

الخلود

في صباح اليوم التالي . كان كل الأصدقاء بانتظار ياسين حتى وصل إليهم . ياسين وهو يحمل معه كيس جهل بعض الأصدقاء ما بداخله : السلام عليكم , كيف حال الجميع ؟

رد الجميع : وعليكم السلام .

آدم : حسنا يا ياسين أضنك قد أحظرت الطعام لـ(ثقيل) , أليس هذا صحيح يا عزيزي ؟

ياسين : قد يحتاجه ثقيل يا آدم , بعد أن يعترف طبعا , وإلا فأن الجوع سيكون جليسه اليوم أيضاً , غير أن هذا سيحزنني حقاً .

زهير بابتسامة مازحاً : ياسين هل تعرف أي منا وصل إلى هنا أولاً ؟

ياسين: من ؟

فارس وبحماس : إنه مراد بالطبع.....و الجميع يعقب كلام فارس بالضحك.

ياسين : مراد عزيزي لتكن على ثقة بأن أخيك سامر سيخرج عاجلا أم آجلا....ثم يحول نظره إلى شبر : كيف حالك يا عزيزي شبر ؟

شبر بابتسامة مشرقة : بخير يا ياسين ، شكرا لك .....ثم قال في قرارة نفسه : من أنت يا هذا ؟ من تكون لتدخل قلبي من دون سابق إنذار ؟!

نعيم : إن طه لم يحظر حتى الآن يا ياسين .

ياسين : لا أعتقد أن طه بإمكانه القدوم هذا اليوم , لأنني قد شاهدته وهو ذاهب إلى عمله في الصباح الباكر .

مراد : ياسين هل سيعترف ثقيل اليوم ؟

ياسين واضعا باطن كف يده على كتف مراد : أتمنى ذلك يا عزيزي ... ثم يستطرد ويقول : والآن يا شباب فلنذهب إلى ثقيل .

انطلق الجميع إلى ذلك البيت المهجور فطلب ياسين من شبير بان يسمح له أن يدفع عربة شبر ، ثم أكملوا طريقهم نحو البيت المهجور ذلك البيت الذي احتجزوا فيه ثقيل . وأثناء سيرهم , كانت هناك نظرات تنطلق من شبير فيها نوع من الخجل تستهدف ياسين , فيما شعر فيها الأخير والتفت إلى شبير قائلاً وبابتسامة دافئة : عزيزي شبير هل هناك أمرٌ ما ؟ تكلم .

شبير وبتلعثم : ياسين ! , لا يا صديقي , لا شيء هناك .....في الحقيقة كنت أريد أن أسالك عن الحديث الذي دار بيننا بالأمس قبل أن نمسك بثقيل .

يقاطعه زهير : هذا صحيح يا ياسين , فقد كنت تريد أن تكمل حديثك عن أصحاب القلوب ذات التربة الخصبة .

ياسين : نعم يا أصدقاء لقد تذكرت ذلك , ولكن ما هو السؤال الذي تريد طرحه يا عزيزي شبير ؟

شبير : كنت تريد أن تتحدث عن المقابل الذي سيحصل عليه ذلك الفرد الذي يضحي بالوقت والمال وكل شيء في سبيل خدمة مجتمعه .

ياسين : نعم فكما قلت لكم فإن المقابل لهو عظيم حقاً , إن المقابل يا أصدقائي هو الخلود .

بعض من الأصدقاء معاً : الخلود ؟!

ياسين : نعم الخلود , فإن من يفني حياته في سبيل خدمة المجتمع فإنه سيحصل على الخلود . ذلك الخلود الذي يجعل ذِكر صاحبه حياً لا فناء له وذلك توفيق من الله سبحانه وتعالى وعهد عليه .

ولما وصلوا . وجدوا ثقيل يغط في نوم عميق جداً .

فارس بصوت مرتفع : استقض يا كتلة اللحم .

ياسين : لا يا فارس ليس من الحكمة إطلاق الألقاب السيئة على أي كان .

ثقل وهو يمسح النعاس من عينيه ويتثاءب : صدقوني أنني أتضور جوعاً . فلا يوجد شيء أتناوله غير الماء الذي وضعتموه بجانبي .

ياسين : صدقني يا عزيزي ثقيل يعز عليَّ ذلك ، لكن هذا من أجل أن نجبرك على أن تعترف بأنكم أنتم يا عصابة العقارب من دبر مكيدة لتوقعوا سامر بها .

آدم : اسمع يا ثقيل , إن ياسين قد احظر لك طعاماً لتتناوله , ولكن لا نستطيع إعطائك إياه إلا إذا اعترفت .

ثقيل والتوتر واضح على وجهه : أنا أخبرتكم بأني لا أعلم عن ماذا تتكلمون.

نعيم : لا يا ثقيل نحن على ثقة بأنك أنت من أوقع بسامر .

ياسين : ذهبتُ في ليلية البارحة لزيارة سامر في السجن في مخفر الشرطة ، وقد أكد لي بأنكم قد هددتموه بتدبير مكيدة له في حال رفض الانضمام إلى عصابتكم. لقد تأكدت من ذلك وأنا لديَّ دليل على هذا يا ثقيل .

ثقيل بارتباك : دليل ؟!

ياسين : نعم دليل .

ثقيل : ما هو ؟

ياسين وهو يقترب من ثقيل ويفتش بجيوبه ويخرج منها قلادة بلون فضي على شكل سلسلة مغلقة ويتدلى منها قرص فضي أيضا مزخرف بلون ارجواني.. ... .هنا يهتف مراد : هذه قلادة أخي !

ثقيل بإنكار يصاحبه خوف واضح : لا , بل هي قلادتي أنا.

ياسين : حسناً يا ثقيل ، هل تعلم بإن قرص هذه القلادة قابل للفتح ؟

ثقيل وعينيه متسعتين فقد زعم أن هذه القلادة ملكه الخاص ، وعندما اخبره ياسين بأن قرص هذه القلادة قابل للفتح أيقن تماماً أن كل شيء أصبح واضح الآن ، فهو ورفاقه من عصابة العقارب الذين أوقعوا بسامر وأن هذه القلادة هي ملك لسامر أيضا ،

ياسين يفتح قرص القلادة بعد محاولة منه لم تدم إلا بضع ثواني ، لأن سامر قد علّمه كيفية فتحها , وبعد أن فتحت القلادة تفاجئ ثقيل وأندهش .

ياسين وقد رافع القلادة بوجه ثقيل : هل تعرف من هذا الذي في الصورة يا ثقيل..... إذ كان باطن القلادة يحتوي على صورة تعود لوالد سامر ومراد .....يقاطعه مراد بحزن : إنها صورة أبي الذي توفي منذ سنوات .

نجاح وقد نظر إلى ثقيل بعينين غاضبتين تنذران ثقيل بالبطش به في حال أنكر قضية سامر مجدداً : أيها الأحمق هيا أعترف ؟

شبير : لقد أصبح كل شيء واضح يا ثقيل .

نعيم : ألم أخبرك بأننا على ثقة بأنكم أنتم من أوقع بسامر .

مراد محاولاً الهجوم على ثقيل لضربه , وحال إمساك كل من آدم وزهير له دون ذلك وهو يستشيط غضباً قائلاً : تُوقع بأخي وتسرق القلادة منه وكل هذا لا تريد الاعتراف أيها الحقير سأريك ، أتركوني ألقنه درساً لن ينساه اتركوني .

فارس مهدئاً من غضب مراد : على مهلك يا صديقي على مهلك أرجوك .

ياسين وقد ضم مراد الذي يبكي إلى صدره ويلتفت إلى ثقيل : حسناً يا ثقيل كما تريد إذاً ، إذا كنت لا تريد الاعتراف فليس لدينا مانع بتركك هنا ليوم آخر , ولتكن على ثقةً بأن الجوع سيكون جليسك أيضا ولتكن على يقين بأن ذلك سيستمر لأيام عدة .....ثم استطرد قائلا : هيا يا أصدقاء لنذهب .

فارس : ستكون حمية غذائية جيدة لك يا ثقيل .

يناديهم ثقيل وهو مطأطئ رأسه إلى الأرض : توقفوا ، حسناً سأعترف ، أنا من دبر فخاً مدروساً بشكل جيد ، حتى أوقعنا فيه سامر... ..يقاطعه ياسين وهو يقدم له ورقة وقلم : لا , بل ستكتب الاعتراف على هذه الورقة يا ثقيل .

طلب ياسين من الجميع الذهاب إلى منازلهم , وطلب من شبير أن يتحدث مع الشرطي أمين على انفراد ويخبره بقضية ثقيل بعد أن أوصى شبر الشرطي أمين في احتمالية أن يأتيه شبير لأمر ضروري وطلب من الشرطي أمين الاستماع جيدا لأخيه شبير . ولم يبقى بجانب ثقيل أحد سوى ياسين وشبر . خرج ياسين وشبر من عند ثقيل بعد أن أعطى ياسين الطعام الذي احظره معه ليتناوله ثقيل بعد أن كان الجوع جليسه من الليلة الماضية , حيث أكله الأخير بكل شراهة تنم عن الجوع الشديد لصاحبها . جلس كل من ياسين وشبير يتحدثان خارج المنزل المهجور الذي احتجزوا فيه ثقيل . حيث جلس ياسين على بقايا سور مهدم بسبب ما مرت عليه من سنين غابرة , أما شبر فقد لزم كرسيه المتحرك مقابلاً لـ(ياسين) .

ياسين : شبر .

شبر و كان يمعن النظر بعيني ياسين : نعم يا ياسين .

ياسين : أُلاحظ أن طه يشغله أمرٌ ما , وهو حزين لأجل ذلك الأمر الذي اجهله أنا , فهل تعرف ما الذي يشغله ؟

شبر يزفر بحزن : نعم يا عزيزي ياسين أعرف سبب حزن طه .

ياسين : هل يمكنك أن تحدثني بذلك الأمر ؟ لعلنا نستطيع مساعدته .

شبر : بالطبع سأخبرك . لكن هل تعلم أن طه ووالدته يملكان مزارع وشركات كبيرة وثروة طائلة ؟

ياسين : ماذا ؟! ، هل حقاً يملكان كل هذا ؟ ولكن طه ووالدته ميسورا الحال في معاشهما . حيث أن طه يعمل في إحدى معامل الإنشاءات وبالكاد يستطيع أن يحصل على قوت يومه .

شبر : نعم صحيح . ولكن لدى طه عم حاسد وحاقد ويدعى حاتم قام بسرقة كل تلك الأملاك والأموال وحولها لنفسه ولم يترك لطه ووالدته أي شيء منها رغم أن الثروة هي ملكهما وحدهما , لقد عاشا غريبين ووحيدين بعد وفاة والد طه .

ياسين الذي تألم لأجل طه : مسكين طه ، مسكين حقاً ... وأين عم طه الآن ؟ أين يسكن ؟

شبر : انه يعيش في هذه المدينة ولديه قصر له من الفخامة ما ستعجب الناظر حتى الانبهار والاندهاش لحجمه وطرازه الغريب والعجيب ... ولكن...

ياسين : ولكن ماذا يا عزيزي شبر ؟ تكلم .

شبر : لدى حاتم عم طه فتاة اسمها ميار بمثل سن طه يحبان بعضهما فقد عاشا سوية منذ طفولتهما حتى وفاة والد طه ثم جاء الفِراق وافترقا عن بعضهما ,

أي بعد أن اخذ حاتم كل ثروة طه وانتقل ليعيش في ذلك القصر ومنذُ ذلك الحين لا يستطيع طه رؤية ميار إلا سراً , فلا يستطيعان الافتراق عن بعضهما فقد اعتادا على بعضهما كثيراً .

ياسين : ما حدث لـ(طه) صعب جداً , ولا بد أن نساعده على أن يستعيد إرث والده .

شبر : ولكن , لا اعتقد إننا نستطيع أن نفعل شيء حيال ذلك يا ياسين .

ياسين : و لكن ما السبب .

شبر : طه ووالدته اشتكيا عند القضاء . حيث وجدا أن جميع الثروة التي تركها السيد عابد والد طه مسجلة باسم حاتم عم طه نفسه . وبذلك فقد خسر طه ووالدته تلك القضية .

ياسين : ولكن كيف سُجلت تلك الثروة باسم حاتم ؟ اعني لابد أن السيد عابد قد سجلها باسم طه ووالدته .

شبير : لقد اخبرني طه بأن حاتم قد قام بسرقة الثروة منهما هو ووالدته , أي طه . وذلك بأن حاتم قد لعب لعبته القذرة من خلال تحويل كل الثروة التي تركها أخيه عابد لولده طه وزوجته حليمة , باسمه وذلك من خلال تزوير أوراق خاصة بكل الأملاك التي هي ملك لـ(طه) ووالدته السيدة حليمة .

ياسين : نعم , هذا ما أردته يا عزيزي لا بد لحاتم أن يزور الأوراق الخاصة بثروة السيد عابد رحمه الله , كي يستطيع الاستيلاء عليها .

شبير : ولكن هل للقضاء عدم المقدرة على أن يميز بين الأوراق المزورة و غير المزورة ؟

ياسين وقد وامسك رأسه بكلتا يديه بعد أن أحنا رأسه إلى الأسفل : هذا الأمر الذي حيرني الآن يا أخي .

شبر : أخي !

ياسين : نعم , وهل هناك مشكلة .

شبر : بالطبع لا توجد مشكلة .

لقد شعر شبر بأن كلمة (أخي) التي انطلقت من لسان ياسين كأنها كانت بلسما لجراحه التي أصابته مؤخراً بسبب ما ألمَّ به من مرض جعله طريح الفراش لأيام عدة , لقد شعر بأن ياسين أخٌ له حقا , ولمَ ذلك الشعور ؟ هل لأن كلمة أخي لم يناديه احد بها غير شبير ؟ أم أن هناك أمرٌ غيبي لا احد يعلمه إلا (الله) , لقد شعر شبر ولسبب حيره شديد الحيرة , بأن له رغبة في أن يعانق ياسين ولكن حال الخجل دون ذلك . ولكن لماذا ؟ لماذا ياسين قد دخل قلب شبر بهذه السرعة ؟! . فهو لم يتعرف على ياسين إلا منذُ يومين فقط فعلامَ هذا القلب يخفق لـ(ياسين) هكذا ؟!

شبر : ياسين .

ياسين : نعم يا عزيزي شبر , ماذا هناك ؟ .

شبر : مع من تعيش في منزلك ؟ أعني هل لديك إخوة اكبر منك سناً أو اصغر منك ؟

ياسين ويداه بعضهما تقبضان على بعض وقد زفر بحزن وأجاب : لا يا عزيزي شبر , ليس لديَّ أي إخوة . و أنا أعيش مع والدتي أما أبي فقد توفي منذُ أن كنت طفلاً صغيراً وابن سنة واحدة على الأكثر .

شبر بتأسف شديد : ماذا!..... أنا آسف حقاً , أردت التعرف عليك فقط . لم اقصد أن أجدد أحزانك بسؤاليَّ هذا .

ياسين بابتسامة مصطنعة وقد ازداد بريق عينيه بسبب عَبرة قد استطاع التغلب عليها , عندما ذكر حادثة والده : لا , لا عليك يا عزيزي . ثم يجب أن نتعرف على بعضنا أكثر ..... ثم استطرد ياسين قائلاً : إن أبي قد توفي عندما كنت طفلا صغيراً بحادث سير .

شبر مطأطأ الرأس حزناً لأجل قصة ياسين : أنا آسف لأجلك حقاً .

ياسين : شكرا لك يا عزيزي شبر ...و الآن جاء دوري في التعرف عليك يا صديقي . حدثني عن عائلتك .

شبر : عائلتي تتكون من أربعة أشخاص , والديَّ و أنا وأخي شبير .

ياسين : فليحفظكم الله .

شبر وبزفرةٍ بان الحزن من خلالها : شكرا لك يا ياسين ... لكن أتعلم ؟ ..... في الحقيقية لديَّ أخ اكبر مني بسنة واحدة , ويدعى إليا .

ياسين : حقاً ؟.... لم أسمعك تعده مع عائلتك ما السبب ؟

شبر ومن على كرسيه المتحرك مطأطأ رأسه وبدا الحزن واضحاً عليه : لقد توفي بحادث سير عندما كان طفلاً وابن سنة واحدة . تعرض للحادث مع والديَّ . أبي وأمي خرجا من الحادث بإصابات شفيا منها لاحقاً , فيما فقد أخي إليا حياته .

ياسين : متأسف لأجلكم يا عزيزي .

شبر : شكرا لك . ولكن هل تعلم إن أخي إليا ليس له قبر ؟!

ياسين : ولكن لماذا ؟

شبر : عندما حدث ذلك الحادث اللعين , وقعت العربة التي كان يستقلها أبي وأمي وأخي عندما كان الأخير طفلا رضيعاً . سقط كل من أبي وأمي على حافة النهر مغمىً عليهما وعندما أفاقا علما أن أخي إليا قد ...

ياسين : قد ماذا يا عزيزي ؟

شبر : قد سقط في النهر الذي كانا يسيران على احد ضفتيه قبل أن يتعرضا للحادث في تلك العربة .

ياسين : كل شخص في هذه الدنيا ولديه هم يشغله . وهموم الإنسان هذه كأنها قد لزمت الدور على الإنسان نفسه , ما أن يتخلص من هم حتى يحين دور الهم الآخر . مسكين ابن آدم فقد ظن أن في هذه الدنيا شيء اسمه الراحة , والله سبحانه وتعالى لم يخلق الراحة فيها أبداً , وإنما قد خلقها في جنان الخلد لديه .

جلس ياسين وشبر وكل منهما يحكي للآخر مواقفه وطرائفه التي صادفته في الحياة , ليطردا غبار الحزن عنهما . حتى وصل الشرطي أمين بسيارة الشرطة وقد جاء معه شبير الذي دلهم على مكان احتجاز ثقيل .

أمين وهو يخرج من سيارة الشرطة : السلام عليكم .

ياسين وشبر : وعليكم السلام .

شبر :كيف حالك يا أمين ؟

أمين : أهلا بك يا شبر أنت وصديقك معاً .

شبر : هذا صديقي ياسين انتقل لتوه إلى مدينتنا .

أمين : أهلا بك يا ياسين .

ياسين : أهلا بك سيدي .

أمين : هل ما قاله شبير صحيح ؟

شبر : نعم يا أمين ، ولم أستطع أن أخبر شخص آخر غيرك لأنك متفهم معي، و لأنك شخص مقرب إلينا أيضاً .

أمين وهو مبتسم : حسناً هل يشرح لي أحدكم القضية من جديد كي أفهم أكثر؟

ياسين : خذ هذه الورقة وسيتضح كل شيء يا سيدي ...

يأخذ أمين الورقة ، تلك الورقة التي سجل ثقيل اعترافه فيها ، وبدأ أمين يقرأ فيها ما يلي :

" أنا شامل وينادونني ثقيل أحد أفراد عصابة العقارب . أنا قد طلبت من سامر أن ينظم إلى عصابتنا . وهددته في حالة رفض الانضمام إلى عصابتنا فإننا سنلصق به تهمة يُزج من خلالها في السجن . علماً أن التهمة كانت تهمة جمع الضرائب غير القانونية من أحد متاجر المدينة وهو متجر الأحذية الذي يقع في حي السلام وهو بريء منها .

التوقيع شامل "

بمساعدة شرطي جاء مع أمين اخذوا ثقيل إلى مخفر الشرطة , حيث قاموا بعد التحقيق مع ثقيل بإطلاق سراح سامر وتبرئته من التهمة كلياً , تلك التهمة التي اتهم فيها سابقا والتي كانت سبب دخوله السجن .....

(8)

معشوقي..... و قد غفل عن عشقي له

سليم واضعاً قدماً على الأخرى وهو يحتسي شراباً قدمته له الخادمة صفية : أُأكد لك يا عزيزي حاتم بأن هذا صفقةً ستدر عليك أموالاً تقدر بثلاثة أضعاف قيمتها , لذا أقدم لك التهاني الحارة بهذه المناسبة .

حاتم وهو الآخر واضعاً قدما على الأخرى وهو يقهقه قهقهة خفيفة معبر لسليم عن ذكائه بإدارة هذه الصفقة بعد أن أخذ رشفة من الشراب الذي قدمته له الخادمة أيضاً حيث قال بغرور : بل سأربح خمسة أضعاف قيمتها يا سيد سليم .

سليم وهو يعتدل بجلسته متعجباً : ماذا ؟! و لكن كيف ذلك يا سيد حاتم ؟

حاتم وهو يأخذ رشفة أخرى من شرابه : لقد قمت بعرض تلك الأراضي التي قمت بشرائها , في مزايدة , وحتى الآن وصلت قيمتها إلى خمسة أضعاف قيمتها عندما اشتريتها .

سليم وقد تظاهر بأنه ينفجر انبهاراً من الخارج ويكاد أن ينفجر غيظاً من الداخل : هذا عظيم يا سيد حاتم هذا عظيم . ولكن كيف خطرت لك هذه الفكرة ؟

حاتم وهو يأخذ رشفة أخرى من ذلك الشراب وقال بتكبُرٍ واضح : وهل كنت تظن يا سيد سليم بأني سأقبل بربح تافه كالذي تم عرضه عليَّ من قِبل أصحاب تلك الأراضي ؟ , هذا هراء يا صاحبي هذا هراء . لم تأتني هذه الثروة عبثاً بل أتتني عن دراية وحكمة في الإدارة .

سليم بقهقهة خفيفة يعقبها بأخذ رشفة من ذلك الشراب : لا , بل كنتُ على علمٍ بأن هذا الأمر لا يمكن أن يفوتك .....حيث قال سليم بقرارة نفسه : حاتم , أيها الحقير المتكبر , أيها الطماع الجشع , أيها المغرور السفيه . وهل تستعرض عليَّ خبرتك أيها الوغد . لم تكن سوى عامل تعمل عند أخيك الذي سرقت ثروته من وَلده المسكين , لقد حظيتَ بثروة لم تكن لتحلم بها , واليوم تتمتع بثروة هي ملك لأبن أخيك و ها أنت تستعرض بإدارتك لصفقتك المربحة أمامي بتكبر وغرور ....ثم استوى قائماً وهو يقول لحاتم : حسناً يا عزيزي حاتم , لقد حان موعد ذهابي لذا سأزورك في الأسبوع القادم في نفس اليوم و يسعدني أن تخبر السيدة سمار و الآنسة ميار بالأمر الذي سيقرب عائلتينا من بعضهما .

حاتم وقد نهض بابتسامة مصطنعة مصافحاً يد سليم الذي قدم الأخير يده للمصافحة : يسعدنا ذلك يا سيد سليم .

سليم وهو يهم بالذهاب : وبلغ تحياتي الحارة لعائلتك .

حاتم : سأرافقك للخارج يا عزيزي سليم .

سار الاثنان باتجاه بوابة القصر عبر طريق يقع في وسط حديقة قصر السيد حاتم . لقد كان ذلك الطريق الذي يوصل ما بين الباب الداخلي للقصر والباب الخارجي ذو مسافة طويلة بعض الشيء بسبب مساحة حديقة القصر الضخمة, حيث كان الطريق يمر بين نافورتين متماثلتين . تجسدان نافورة (شمشون) والتي تقع في بطرسبرغ في روسيا , وهي من إحدى أروع النفورات في روسيا والتي بنيت عام (1710 م) حيث تصور هذه النافورة لحظات دموع شمشون بين فكي الأسد وهي رمز لانتصار روسيا على السويد في الحرب الشمالية العظمى . فضلاً عن التماثيل التي كانت تزين تلك الحديقة , وكان كل تمثالين متشابهين يقعان على جانبي ذلك الطريق وكان هناك نهر صغيرة مسافة ضفتيه , شق ارض الحديقة والذي يحتوي على أصناف متعددة من اسماك الزينة فضلاً عن أنواع مختلفة من طيور الزينة التي كانت تزين سماء القصر وحديقته . حيث كان جانبي القصر متناظرين وحديقته .

سليم من داخل سيارته السوداء الفخمة التي ركبها ويضع قبعته المستديرة السوداء على رأسه ويرفع يده مودعا حاتم . فيما رجع الأخير إلى داخل قصره , وبعد أن صعد السلم الذي يؤدي إلى الطابق العلوي من القصر متجهاً إلى نافذة مبالغ في حجمها وهو ينظر إلى حديقة القصر حيث العمال ما بين الغادي والرائح , وينظر إلى نافورتي شمشون العظيمتين , أغمض عينيه ثم شهق

شهيق عميق ويطلقه بزفير لا يُبذلُ جهدٌ لتحليلها , فالحق كانت زفرة حزن تنم عن شخص سافر إلى ماضيه , وهو ضاغطاً بقبضة يده على عصاه السوداء ذو رأس كروي ذهبي قائلاً في قرارة نفسه : أخي عابد.....أعلم بأنك غاضب مني وأنت راقد بقبرك الآن , إذ قمتُ بأخذ كل ثروتك ولم اترك لطه وزوجتك حليمة أي شيء منها , بل ولم أُعلهما على العيش حتى , لأن نفسي وكبريائي وطمعي وجشعي قد حال دون ذلك . أما سبب عدم إعطائي لولدك طه أي جزء من ثروتك التي أخذتها فهذا لأني اعلم بأنه سيكّون من تلك الثروة الصغيرة ثروة كبيرة مما يسمح له بالانتقام مني واخذ كل ثروتي هذه وهذا ما ارفضه أنا بشدة .....يصمت قليلاً ثم يكمل : هل تعلم يا أخي عابد بأن ولدك طه قد اشتد عوده وكلما يكبر يزداد شبها بك و أزداد أنا خوفاً ورعباً منه . فأنا أخشى أن يصنع من حياته دراما واقعية ويسمياها مسلسل الانتقام .... يرفع حاتم نظره إلى السماء ثم يغمض عينيه مناديا : صفية أين أنتِ .

تأتي صفية كبيرة الخدم على عجالة من أمرها : نعم يا سيدي .

حاتم :اخبري سيدتك أن تحظر .

صفية تحني رأسها : أمرك سيدي .

ينزل حاتم إلى صالة الاستقبال ويجلس منتظراً زوجته سمار . وأثناء نزول الأخيرة من السلم قائلةً لعله أمرٌ ضروري يا سيد حاتم .

حاتم : لنفرض أنه ليس ضروري لدرجة ما يا زوجتي العزيزة , ألن تأتي ؟

سمار بعد أن استقرت جالسةً على أريكة تقابل الأريكة التي جلس عليها السيد حاتم : بلى , وإنما بدر سؤالي لوجهك الذي تكاد الحيرة أن تنطق بدلاً من لسانك .

يبتسم حاتم وسند ظهرهُ على الأريكة : عزيزتي سمار . إن الإنسان لا يساوي شيئاً في هذه الدنيا الفانية عندما لا يساوي جَيبهُ شيئاً . فأصبح الإنسان مُحترماً مُقدراً عندما يكون غنياً مترفاً . محتقراً منبوذاً عندما يكون فقيراً شقياً في حياته . في هذه الدنيا عندما يدخل الغني إلى محفل ما , يقف له كل الناس احتراماً وتبجيلا ويَخلون له العديد من المقاعد ويتسابقون إليه ليجلسوه في أماكنهم . وإذا دخل الفقير فسيرحمه الغني إذا كلف نفسه عناء رد التحية. وقد يضطر للجلوس على الأرض أو البقاء واقفاً إذا لم يجد لنفسه مكاناً للجلوس. فالفطن الذكي سيعرف أن ذلك التصرف الذي بدر من الناس تجاه الغني والفقير ليس إلا نفاقاً بحد ذاته . والغبي الأحمق والموهوب بغبائه وحماقته إذا ظن أن الناس أحبته لذاته لا لِما في جيبه من أموال زائلة وقد صدق قول الشاعر فيهم عندما قال :

رأيت الناس قد مالوا إلى من عنده مالُ

ومن لا عنده مالُ فعنه الناس قد مالوا

رأيت الناس قد ذهبوا إلى من عنده ذهبُ

ومن لا عنده ذهبُ فعنه الناس قد ذهبوا

رأيت الناس منفضة إلى من عنده فضة

ومن لا عنده فضة فعنه الناس منفضة

مسكين ابن آدم , فالذي وقّر الغني لغناه كان ممن ذُكرَ اسمه في سجل المنافقين . والذي ظن أن الناس قد أحبته واحترمته وقدرته وقدمته على أنفسهم تقديراً لذاتهم فهذا هو الغباء بعينه . وهذا الأمر مرتبط بزوجة الغني والفقير كذلك يا عزيزتي سمار .

سمار بعد أن كانت شاردةً بوجه حاتم باستغراب : وكأنك تريد أن تتخذ قرار ما يا عزيزي حاتم فقد أقلقتني بمقدمتك هذه . قل , ماذا هناك ؟ .

حاتم :إنما هو خيرٌ لعائلتنا يا سمار . فأنتِ ما كنتِ لتحضين بهذا القدر من الاحترام من قِبل زوجات الأغنياء الذين نعرفهم , لو لم تملكي مثل هذه الثروة التي هي ارثٌ لك من والدك .....وكذلك الأمر ينطبق على ميار .

سمار تطبق على كفيها وتضغط على بعضهما بقوة : وهل تفكر بأن تزوج ابنتنا يا حاتم .

حاتم : أحسنتِ يا عزيزتي سمار . فقد تقدم الثري سليم ليطلب يد ابنتنا ميار لولده سلام .

صمتت سمار للحظات فقد كان هذا الخبر الذي أفصح عنه حاتم لتوه بمثابة ضربة موجعة لسمار بل وكأن هذا الخبر نزل على مسامعها كالصاعقة , حتى

كاد جسدها أن يُشل , فهي تعلم بأن ميار لم ولن تتزوج إلا من ابن عمها طه ناهيك عن أنها كانت على علم بأن ميار دائما ما تلتقي بابن عمها طه سراً . فأفصحت قائلة : حسناً يا عزيزي حاتم دعنا لا نخبر ميار بهذا الأمر الآن . فدعنا لا نتعجل بهذا القرار الذي من شأنه أن يحدد مصير سعادة حياة ابنتنا .

دارت الأرض كلها برأس سمار التي أرادت أن تقف . حتى ما أن استوت واقفةً وإذا بها تسقط على الأرض فأسرع حاتم إليها جاهلاً سبب إغمائها منادياً : صفية أين أنتِ .

جاءت صفية مسرعة : ماذا هناك يا سيدي . ... حيث وجدت حاتم بقرب سمار وهو يعينها على الوقوف مجدداً .

صفية وهي الأخرى تمسك سمار بيدٍ ويدها الأخرى تمسك بكتفها .

حاتم : سمار ما الذي جرى لكِ .

سمار : لا , لا شيء هناك , مجرد دوار خفيف . سأذهب لاستلقي على السرير بغرفتي كي ارتح قليلاً .

حاتم : حسناً , صفية خذيها إلى غرفتها , ولا تتركيها أبداً .

صفية : كما تريد يا سيدي .

تذهب سمار لغرفتها في الطابق العلوي وتسندها صفية . جهل حاتم سبب تدهور حالة سمار , فهو قد جهل أن ذلك الخبر وهو خبر تقدم سليم ليطلب يد

ميار لولده سلام كان خبر موجعاً لها . فهي تعلم بأن ميار تفضل الموت على الزواج من غير ابن عمها طه من جهة , ومن جهةً أخرى كانت تعلم بأن هذا الأمر الذي قرره السيد حاتم لن يتراجع عنه أبداً . فحاتم الذي يقدس الأموال ويقدس الثراء لن يفوّت فرصة كهذه , لأنه ثري ويريد لابنته أن تتزوج من ثري .

سمار وهي تتحدث في قرارة نفسها وتضغط بقوة على يدي خادمتها صفية من دون أن تنتبه لذلك : حاتم , حاتم , إلى أين يا حاتم . أما يكفيك انك قد سلبت طه كل شيء يملكه , وتريد أن تسلبه ميار أيضاً , يا ناكر جميل أخيك عابد . أولا تستحي من نفسك ولو قليلاً يا من أُبتليتُ بأنك زوجي . لكن فلتكن على ثقة يا حاتم بأني لم ولن اسمح لك بأن تزوج ابنتك من شخص لا تحبه .

وصلت سمار إلى غرفتها وبعد أن استلقت على سريرها طلبت من الخادمة صفية أن تتركها بمفردها . أغمضت سمار عينيها ودموعها تجري على خديها وهي تقول : عابد يا من هواه قلبي وأُسامر ذكراه ليل نهار , أحببتك وفي سبيل حبك سقيت نفسي مرارة الزواج من أخيك حاتم , هل علمت أنني من أُمك يا حبيب الفؤاد كنت عليك أغار ؟

في هذه الأثناء إذ يخرج شخص من أحد جدران غرفة السيدة سمار لحظة أن أغمضت عينيها للنوم إذ بعد أن خرج ذلك الرجل من أحد جدران غرفتها , إذ تفتح سمار عينيها لترى رجل يبلغ من العمر الأربعين , عليه ملابس رسمية يا لبياضها الشديد رجل وسيم الوجه مبتسم بابتسامة ما أشرقها حيث اقترب

ذلك الرجل من سمار وجلس على كرسيٍ كان بالقرب من سريرها وسط ذهولها والتي بدورها جلست على سريرها . وهي تنظر بعينين دامعتين وبوجه مبتسم لرؤيته وقالت : هل علمت ما صنع أخيك يا عابد ؟ هل علمت بأنه قد ظلم زوجتك وابنك يا عابد ؟ , هل رأيت جزاء إحسانك يا عابد مع أخيك الظالم ؟ .

عابد وبوجه مشرق وينبعث وهج أبيض من وجهه وهو مبتسم : سمار . أوصيكِ بحليمة وطه فهم بقيتي التي قد غدرتها يد الطمع والجشع .

سمار وجريان الدموع مازال يواصل جريانه : وكيف لا يا نور عيني سمار, كيف لا يا من غفل عن حبي وعشقي له .

عابد : ليت طه علم ما ينتظره من عمه .

سمار تحاول أن تقترب من عابد وهو بدوره ينهض من كرسيه الذي كان جالساً عليه وذهب باتجاه ذلك الجدار الذي خرج منه حتى غاب فيه . يتبع ذلك الحدث استيقاظ سمار والتي قالت : أكان حلماً ؟! لا بل وصيةً من معشوقي الذي غفل عن عشقي له , وهيهات إن لم أُنفذ وصيته ولو كان ذلك آخر شيء افعله في حياتي .

(9)

رسائل القلوب

من الصباح الباكر وتحديداً قبل شروق الشمس بدقائق معدودة إذ يجهز كل من عبد الرحمن وكوثر الخبز لأهل المدينة . حيث كانت هناك بعض الطلبات التي سيتكفل شبير بإرسالها بدراجته الهوائية .

عبد الرحمن وهو يضع بعض الخبز في كيس خاص ويقوم بوضعه مع مجموعة الأكياس على طاولة بالقرب منه : عزيزتي كوثر .

كوثر وهي تخرج العجين من آلة العجن لتصنع منه قِطع جاهزة لخبزه في الفرن : نعم يا عبد الرحمن .

عبد الرحمن : الشكر لله إذ أن شبر قد حدث له طفرة إيجابية في صحته نحو الأفضل كما قال طبيبه في صباح الأمس . ولكن لا يخفى عليكِ أني متفاجئ لهذا الأمر الذي حاولنا جاهدين أن نقوم به من دون جدوىً تذكر في الماضي لتحسين حالة شبر .

كوثر بعد أن أكملت إعداد قِطع العجين لوضعها في الفرن : نعم هذا صحيح, فالابتسام والخروج المتكرر مع شبير وأصدقائه خير دليل على ذلك .

عبد الرحمن : أنا أتساءل عن سبب هذا الأمر يا عزيزتي كوثر .

كوثر : اعتقد أنني اعرف السبب .

عبد الرحمن بعد أن أكمل توزيع الخبز على الأكياس : وما السبب في اعتقادك ؟

كوثر : إنه ياسين .

عبد الرحمن وهو يركز نضره نحو كوثر متسائلاً : ياسين ؟

كوثر : نعم ذلك الشاب الذي انتقل إلى هذه المدينة مؤخراً .

شبير وقد دخل لتوهِ للمتجر من الباب الذي يربط ما بين المتجر و البيت : نعم هذا صحيح , فمنذ أن تعرف شبر على ياسين إذ لاحظت أن صحته بدأت بالتحسن شيئاً فشيئاً وبسرعة ملحوظة . ولا يخفى عليكم إذ أنني أيضا تأثرت بـ(ياسين) لسبب لا أعلمه . فقد أحببته لأول لقاء لنا معه و.....وصمت شبير قليلاً ثم أردف قائلاً : وكأني اعرفه من قبل ... يبتسم شبير ويكمل قائلاً : سأذهب لتوصيل الخبز و إلا تأخرت عن إيصال الخبز إلى أهله .

كوثر : حسناً يا بني رافقتك السلامة .

عبد الرحمن وهو يدخل قطع العجين التي أعدتها كوثر إلى الفرن : ألا تلاحظين أن كلامه غريب ؟

لم تردَّ كوثر على كلام عبد الرحمن فناداها قائلاً : عزيزتي كوثر .

انتبهت كوثر متفاجئة : هل كنت تكلمني ؟

عبد الرحمان : إذاً كنت تفكرين في كلام شبير . أليس كذلك ؟

كوثر وهي تجلس على كرسيٍ بالقرب منها : غريب , إن أمر ذلك الفتى ياسين غريب حقاً .

عبد الرحمن وهو يترك الوجبة الجديدة من قِطع العجين والتي أعدتها كوثر لتوها و الذي كان يريد إدخالها إلى الفرن , ويستند بيده على طاولة تجميع الخبز : ما الشيء الغريب يا عزيزتي ؟

كوثر : كيف لشخص أنتقل لتوه لهذه المدينة ولم نره سابقا لنحبه بسرعة هكذا؟

عبد الرحمن : لابد أنه طيب القلب , أو لأنه قد يكون أحد الأسباب التي ساعدت في تماثل شبر للشفاء .

كوثر : لا اعتقد .

عبد الرحمن : وماذا في اعتقادك ؟

كوثر : زوجي العزيز ؟

عبد الرحمن : نعم ؟

كوثر : هل تؤمن برسائل القلوب ؟

عبد الرحمن : وما هي رسائل القلوب ؟

كوثر : عندما رأيت ياسين لأول مرة تغيرت نبضات قلبي , فأصبحت نبضاته أسرع من المعتاد .

عبد الرحمن : هذا غريب حقا !

كوثر : بل هناك ما هو اغرب .

عبد الرحمن : و ما هو ؟

كوثر : لحظة دخوله للمتجر , و لحظة تغير ضربات قلبي سمعت قلبي وكأنه يقول إنه فجر اللقاء يا كوثر , وما أخبرك به الآن ليس وهما أو خرافة .

عبد الرحمن : لا أُخفي عليكِ فأنا قد أحببته أيضاً كحبي لشبر وشبير , عندما التقيت به , الحق كان شاباً متميزاً بثقافته . ولا اعلم ما سبب حبي المفاجئ له, ألانه شاباً مهذباً ؟ أم لأن هناك سبباً آخر أجهله ؟

كوثر : وأنا لا أعلم السبب أيضا .

عبد الرحمن : لدي فكرة سديدة يا عزيزتي .

كوثر باستغراب : فكرة ؟ وعن ماذا لديك فكرة يا عزيزي ؟

عبد الرحمن مازحاً : الفكرة هي أن نخبز الخبز قبل أن يأتي أهالي المدينة ويجدوننا جالسين هكذا .

تبتسم كوثر مع ضحكة خفيفة : حسناً , حسناً .

وبعد أن أكملا إعداد الخبز وصاحبهما ما صاحبهما من التعب الذي لحق بـعبد الرحمن وكوثر والذي كان مصحوباً بحرارة الفرن . وبقدوم شبير بعد أن

أوصل الطلبات من أكياس الخبز إلى أهلها . إذ يدخل سامر إلى المتجر لشراء الخبز , وبعد إلقاء التحية وردها .

شبير بابتسام : سامر ! كيف حالك يا فتى لمَ هذا الغياب الطويل ؟

سامر : أهلاً بك يا عزيزي شبير وشكراً لك . أما غيابي فقد كنت ابحث عن عمل ولله الحمد استطعت أن أجد عملاً جيداً لي لأعيل عائلتي .

كان هناك رجل كبير بالسن كان متواجداً في المتجر أيضاً لشراء الخبز , وكان ينظر بتمعن لسامر وعلى وجهه نظرات استغراب وتركيز شديد , فقال سامر : ماذا هناك يا سيدي ؟ لمَ تنظر لي هكذا ؟

الرجل الكبير بالسن وكان اسمه سعدون : أضنني أعرفك من قبل يا فتى , ألست أنت سامر ؟

سامر وقد بانت على وجهه علامات الاستفهام : ومن أين لك أن تعرفني ؟

سعدون وهو يهم بالخروج من المتجر وبيده كيس الخبز الذي قام بشرائه : لقد سمعت اسمك من هذا الفتى للتو ....وأشار إلى شبير وهو يقهقه .

لم تستطع كوثر كتمان ضحكتها بعد أن خرج سعدون فضحك كل من شبير وسامر .

أثناء ذلك سمع الجميع سعدون وهو يرد التحية على شخص كان خلف دفة باب المتجر مما لم يتمكنوا من رؤيته ..... لحظة خروج سعدون من المتجر: أهذا أنت ؟! كيف حالك يا بني ؟

فرد عليه ذلك الشخص : بخير يا عم شكرا لك .

سعدون : حسناً . طاب يومك , والى اللقاء .

ثم دخل ذلك الشخص إلى المتجر فتعرف عليه الجميع لأنه هو نفسه ياسين . هنا توقف الزمن عند كوثر , لماذا ؟ لماذا كلما وقع نظرها على هذا الشاب الذي يقارب عمره عمر شبر يصرخ قلبها قائلاً يا كوثر ؟ حيث قالت : لماذا كلما وقع نظري على هذا الشاب تكاد أن تدمع عيناي ؟ يا له من شعور في قمة الغرابة . تمعنت كوثر في معاني وجهه وقالت في نفسها تلك الابتسامة أقسم يا هذا إني رأيتك من قبل فمن تكون ؟ ..... أكمل الزمن جريانه .

ياسين : السلام علكم .

الجميع : وعليكم السلام .

ياسين : شبير وسامر لقد اشتقت حقاً للقائكما من جديد بعد هذا الغياب الذي ليس بالقصير .

شبير والابتسامة ارتسمت على وجهه بخطها العرض ولم يستطع أن يتكلم غير بكلمة : ياسين .

ياسين وهو يحول نظره إلى سامر : كيف حالك يا سامر .

سامر : بخير يا ياسين شكراً لك .

ياسين : كيف حال السيدة الطيبة .

كوثر : بخير يا ياسين , وكيف حالك أنت ؟

ياسين : سأكون على حال أفضل لو رأيت شبر الآن فقد اشتقت إليه .

في هذه اللحظة يدخل شبر على عجالة واستقر نظره نحو ياسين للحظات دون أي كلمة , نعم لم ينطق ولو بكلمة واحدة .

ياسين : وكأن هذا الغياب يا شبر دم لسنة كاملة . أليس كذلك ؟

يقترب شبر وهو يحرك عجلات كرسيه المتحرك نحو ياسين ليستقر بالقرب منه : أنت مذنب يا ياسين ولقد أخطأت بحقي . فالصديق الحقيقي حقاً لا يتأخر عن صديقه ليرى كل منهما الآخر , فكيف بغيابك هذا .

ياسين : ثق أنه لن يمنعني عن لقاءك إلا الجديد الشديد . فالحق أقول العمل مؤخراً كان ثقيل عليَّ .

كوثر : لا تكن قاسياً عليه يا بني . فالتمس للغائب سبعين عذراً .

شبر : إن الأمر ليس بيدي يا أمي , ولكن منذ أن تعرفت على ياسين شعرت وكأنه .... في هذه اللحظة بالذات أطرق شبر برأسه إلى الأرض يا ترى (وكأنه ماذا يا شبر) .

شبير : وكأنه ماذا يا أخي شبر .

شبر : وكأنه صديق الطفولة وليس صديق جديد منذُ أيام معدودة .

ياسين وقد ابتسم : بل هذا من حسن طيبة قلبك يا عزيزي شبر . ولا أخفي عليك فمنذ أن عرفتك و إلى هذه اللحظة و كأنك شخص مقرب أكثر من كونك صديق لي . .... ثم استطرد قائلاً شبير .

شبير : نعم يا ياسين .

ياسين : أنا سأخبر طه بأن لقاء مجموعتنا هذا اليوم عند المقهى المعتاد عصر هذا اليوم . هل يمكنك أن تخبر من هم بالقرب من هنا أعني أصدقائنا.

شبير : حسناً يا ياسين , سأفعل .

ياسين : وأنت يا سامر هل يمكنك أن تخبر من هم بالقرب منك .

سامر : حسناً يا ياسين سأخبرهم , و سيكون موعدنا عند ذلك المقهى عصر هذا اليوم . .. أما الآن فاسمحوا لي أن أذهب لأن العاملين الذين أعمل معهم في العمل في انتظاري لآخذ الخبز لهم .... إلى اللقاء .

ياسين : إن لم يمانع شبر وشبير سنخرج معك وستودعنا خارج المتجر بعد أن نقطع معك شيئاً من الطريق .

شبر : بالطبع لا مانع لدينا .

ياسين إلى كوثر : عن إذنك يا سيدتي .

كوثر : إذنكم معكم يا بني .

سار الأصدقاء خارج المتجر وقطعوا بعض الطريق مع سامر الذي كان يحمل الخبز معه إلى مكان عمله لباقي العاملين الذين كانوا يعملون معه في مكان عمله , ولكن وأثناء سيرهم هذا إذ يوقفهم نداءاً يقول (إذاً أنت هو ياسين, أليس كذلك ؟) لقد ظهر ذلك النداء فجأة من خلفهم فتوقف الجميع ليروا شاباً ذا ملابس رسمية مبالغاً بشدة سوادها , وقوفه ينم عن الثقة الكبيرة بنفسه إذ كان يضع يد بجبه ويضع راحة يده الأخرى على عصاً سوداء له , كانت العصا من خشب الزان وهو أكثر أنواع الأخشاب شهرة فهو من الأنواع الغالية والثمينة حيث يتميز بصلابته وقوته , كانت العصا ذو رأس ذهبي كروي , و كانت تعلوا رأس ذلك الشاب قبعة سوداء أيضا مستديرة الشكل وهو ينضر لـ(ياسين) وأصدقائه . ابتسامته و نظراته تجاه ياسين والأصدقاء بل وحتى طريقة وقوفه , كان كل ذلك يدل على الثقة الكبيرة بنفسه . كأن الشر يتطاير من عينيه , لا أعلم كيف لبقعة الأرض التي كان يقف عليها كيف استطاعت حمله ؟! . لقد ركز كل نظره نحو ياسين وقال : سأعترف بشيء لك يا ياسين , فلأول مرة

يثير إعجابي شخص من هذه المدينة بذكائه الذي أوقع بثقيل , ودقة تخطيطه لتلك الخطة التي رسمتها لتوقعهُ , ونجاح الخطة حرفياً ومن دون أي أخطاء . فالحق أقول كانت خطة عبقرية .

ياسين جنباً لأصدقائه : هل يعرف أحدكم هذا الغريب الذي أوجستُ منه الحذر الشديد ؟

سامر : نعم يا ياسين أنا اعرفه , إنه زعيم عصابة العقارب ويدعى الأسود , وهو شخص خطير جداً , وبما انه ذكر ثقيل فنحن لسنا بأمان إذاً .

أثناء ذلك إذ يختفي الأسود بعد أن صعد بعربة سوداء يجرها حصان اسود أصيل . بعد هذا المشهد الذي مر على الأصدقاء دب في نفوسهم أللاطمئنان .

فقال ياسين مهدئاً من روعهم : لا بأس لا تهتموا لأمره . وأنت يا سامر أظنك ستتأخر إن لم تسرع لعملك , ولا تنسى موعدنا عصر هذا اليوم .

سامر : كما تريد يا صديقي .

ياسين قائلاً لشبر وشبير : و الآن أنتما الاثنان سأوصلكما لمنزلكما .

شبر : حسنا يا عزيزي .

ياسين في قرارة نفسه : يبدوا أننا سنخوض شيء من وجع الرأس مع ذلك الأسود زعيم عصابة العقارب , فالأسود قد ترك رسالة مفادها انتظروا ضربتي القاضية .....

(10)

إخوة قد ولدتهم الأيام

عند المكان المعتاد للقاء الأصدقاء اجتمع الجميع هناك , كان هدف ياسين من هذا اللقاء هو مساعدة طه على استرجاع إرث والده الذي استولى عليه عمه حاتم بغير حق . ولكن وقبل كل ذلك ابتدأ اللقاء بضحك وتسامر مع بعضهم , وكل منهم ذكر المواقف الطريفة التي حدثت معهم . فقد علا على ذلك اللقاء الضحك والابتهاج و مزاح فارس مع آدم ومراد ، إذ كان فارس من النوع المشاكس قليلا .

وفجأة إذ يقطع ضحكاتهم التي أتعبت عضلات وجناتهم من ضحكهم و وابتسامهم المستمر , إذ يقطع كل ذلك قدوم مفاجئ للسيدة كوثر وما إن رآها الأصدقاء حتى قال شبر : قدوم وشحوب وجه , وعينين دامعتين لا يبشر إلا بوقوع طارق سوء .

كوثر بصوت يعتريه الخوف والذهول من سوء طارق قد وقع : شبر بني .

شبر : أين أبي .

شبير بصوت يعتريه القلق الشديد : أمي ما الذي جرى .

لقد حل هدوء في أرجاء المكان... .. يا لشدة علو صوت وقوع ألإبرة على الأرض إن كان لها وجود هناك في تلك اللحظة . يتقدم شبر وهو يدوّر عجلات عربته نحو والدته ، بعد أن سبقه شبير بذلك .

شبر : أخبريني ، أهل أبي بخير ؟

كوثر : الشرطة أخذت والدك يا بني .

شبير : ولماذا أخذوا أبي ؟

كوثر : لقد اخبرني أمين أن هناك تهمة قد سلمها شخص مجهول مع أدلة تثبت بأن والدك قد قام بشراء طحين لمتجرنا بأموال وأوراق مزورة .

شبر وهو يحني رأسه أنا أعرف والدي جيدا ومن سابع المستحيل أن يقدم على أمرٍ كهذا .

ياسين وقد تقدم نحو السيدة كوثر ليجلسها على إحدى مقاعد الطاولة التي كانوا مجتمعين عليها : سيدتي أنا لم أتعرف عليكم إلا منذُ مدة قصيرة . و لكن والدتي قد حدثتني بكل شيء تعرفه عن صيتكم النقي . لأن لها بكم معرفة سابقة وأنا على يقين بأن السيد عبد الرحمن لن يقدم على مثل هذا العمل .

طه : ما العمل الآن ؟

فارس وهو يقدم قدحاً من الماء للسيدة كوثر : سيدتي كل شيء سيكون على ما يرام .

أثناء الحيرة والاندهاش الذي خيم على الجميع إذ يتقدم شخص غريب إلى تلك المجموعة : من منكم ياسين ؟

ياسين : نعم تفضل , أنا ياسين .

يُخرج ذلك الشخص الغريب من جيبه ظرف اسود اللون ومختوم بالشمع الأحمر حيث كان شكل الختم على شاكلة العقرب ويناوله لـ(ياسين) , وينصرف ذلك الشخص بسرعة من دون أي كلام .

ياسين وهو يحاول إيقاف الشخص الغريب بمناداة ذلك الشخص الذي كان يحمل الظرف الأسود : ولكن لم تخبرني من أنت يا هذا .

لم يأبه حامل الظرف الأسود , بل ولم يلتفت لـ(ياسين) حتى .

نعيم : ياسين , هل كنت تنتظر رسالة أو ما شابه ذلك وله علاقة بالظرف ؟

ياسين : كلا يا عزيزي , لم انتظر أي شيء مما ذكرت .

نجاح : إذاً لمَ لا تقم بفتح الظرف الغريب هذا , فلأول مرة أرى ظرف أسود كهذا .

مراد : تذكرت , أعرف من يكون ذلك الشخص يا ياسين .

ياسين : حقاً , من يكون يا مراد ؟

مراد : انه احد أفراد عصابة العقرب .

سامر : هذا يعني أن هذه الرسالة تخص قضية السيد عبد الرحمن .

ياسين وهو يقوم بفتح الظرف الأسود ليخرج منها رسالة تقول :

"لقد أعجبني تخطيطك وذكائك للإيقاع بثقيل أحد أفراد عصابتي عصابة العقارب . ولكني أريد أن أرى شجاعتك و تخطيطك لإخراج ثقيل من السجن هذه المرة , و أنا بدوري سأُخرج السيد عبد الرحمن من السجن بعد أن أقدم الدليل القاطع لبراءته لمخفر الشرطة , بعد أن أوقعنا به بأوراق مزورة .

زعيم عصابة العقرب (الأسود)**"**

ياسين : يا إلهي .

شبر : أله علاقة بوالدي يا ياسين .

ياسين : نعم يا شبر .

كوثر : ما الذي كتب في الرسالة يا ياسين .

ياسين : لقد تم الإيقاع بالسيد عبد الرحمن بتهمة باطلة والذي أوقعه هم عصابة العقارب .

فارس : ماذا ؟! عصابة العقارب !

كوثر وقد ازدادت حزناً : يا إلهي .

زهير : أولئك الأوغاد .

سامر : ما العمل الآن يا ياسين .

ياسين : سنذهب أنا وشبر الآن لمخفر الشرطة وسنستفسر من الشرطي أمين أكثر .

شبر : وماذا تريد أن تعرف من الشرطي أمين ؟

ياسين : سنرى إلى أي حد يمكن أن تصل قضية والدك .

شبير : ماذا تقصد إلى حد يا ياسين ؟

ياسين : شبير دعك من هذا الآن يا عزيزي و اصطحب والدتك إلى منزلكم لتأخذ قسطاً من الراحة الآن .

كوثر : أعلم انك لا تريد أن تخبر شبير أمامي , لأي حد يمكن أن تصل القضية , لأن قضيته يمكن أن تصل أكثر مما هي عليه الآن ولا شك في هذا.

ياسين : سيدتي ؟

كوثر ودموعها تجري على خديها : ياسين دعني اذهب معكم .

ياسين : شبير خذ والدتك , واذهب إلى منزلكم . أنا وشبر سنذهب إلى مخفر الشرطة , لنرى والدك ولنفهم القصة منه .

زهير : ياسين , ونحن ....هل هنالك شيء يمكننا فعله ؟

ياسين : نعم يا أصدقاء , انتظروا مني خبر اجتماع لنا , والآن إلى اللقاء .

تفرق الجميع , وتحولت تلك الوجوه الباسمة الضاحكة إلى وجوه عابسة حزينة . يعلوها تساؤل عَلِق في ذهن كل واحد من الأصدقاء كيف سيخرج عبد الرحمن من هذه المحنة ؟ والتي لم يحسب لها حسابا بل ولم تخطر حتى على الأذهان .

لحظة وصول ياسين وشبر إلى مخفر الشرطة الذي احتجزوا فيه عبد الرحمن . إذ وجدوا أمين عند باب مخفر الشرطة , وما أن رأى أمين شبر حتى أسرع نحو .

شبر : أمين .

أمين : شبر بني .

شبر : أرجوك اخبرني هل صدقت بأن .....يقاطعه أمين قائلا : لا يا بني من المستحيل أن يفعل والدك أمراً كهذا .

شبير : ولكن لمَ تم احتجازه ؟

أمين كل الأدلة تشير إلى انه ..... صمت أمين والحزن واضحا عليه . وقال شبر : إلى ما تشير الأدلة يا أمين ؟

أمين : إلى أن السيد عبد الرحمن قد استخدم أوراق وأموال مزورة لشراء طحين لمتجركم .

ياسين : سيدي يجب أن نرى السيد عبد الرحمن .

أمين : لا يا بني , إن الإجراءات القانونية لا تسمح لكم بالزيارة الآن .

شبر : وهل ستمنعنا يا أمين .

أمين بتعجب من ردت فعل شبر : لا يا بني , لست أنا من يمنعكم إن الضابط قد أعطى أوامر تقتضي بعدم السماح لأي كان أن يزور والدك .

ياسين : سيدي اسمح لنا بالدخول إلى الضابط , واترك الأمر لي . فقد استطيع أن أقنعه بالسماح لنا بان نزور السيد عبد الرحمن لنفهم القصة منه .

أمين : حسننا يا بني , ولكن ليكن بعلمك بان هذا الضابط متعجرف ومتكبر بل ومغرور أيضا فهو لا يرى إلا نفسه ويظن بأنه شخص كبير , ويتصور نفسه سيدا على الأرض وليس على مقر الشرطة هذا فقط . احذرا من جداله.

عند وصول ياسين وشبر إلى غرفة الضابط وبعد أن استأذن لهما الحارس الذي يحرس الغرفة الخاصة بالضابط دخل كل من ياسين وشبر : السلام عليكم .

الضابط وهو جالس خلف مكتبه , ويحدق بالشابين بنظرة يمكن تفسيرها , أنها نظرة تعجب للشبه الذي بين كل من ياسين وشبر . فبدلا من أن يرد الضابط التحية انطق قائلا : أرى أمامي اخوين والشبه بينهما لا يُوصف .

ياسين وقد وضع راحة يده على كتف شبر : نعم يا سيدي اخوين , ولكن ليس من الأب أو الأم إنما نحن اخوين وقد ولدتنا الأيام فأصبحنا أخوين .

الضابط بتعجب : أحقاً ما تقول أيها الشاب ! , وهل للأيام القدرة أن تلد مثل هذا الشبه الكبير الذي بينكما , ومن ثم جمعكم معاً !

ياسين : أن الذي تتحدث عنه الآن يسمى القدر يا سيدي .

الضابط وقد رفع حاجب وأمال رأسه جانباً : وما تقصد بالقدر أيها الشاب ؟

ياسين : سيدي إن الأيام قد تكفلت بولادتنا , والقدر قد تكفل بجمعنا معاً .

الضابط هاتفا : مرحاً لك أيها الشاب , فلك منطق جميلةٌ كلماته . ولكن اخبرني , إن تكفلت الأيام بولادتكما , وتكفل القدر بجمعكما , أو ليس للصدفة يدٌ فيها ؟

ياسين : سيدي إن الذي تتحدث عنه الآن يسمى ما وراء الطبيعة .

الضابط ينزل يداه ويضعهما على مكتبه لشدة استغرابه بسبب إجابة ياسين : وماذا تقصد بما وراء الطبيعة يا بني ؟

ياسين : سيدي أنا لا أؤمن بشيءٍ يسمى الصدفة . فأنا قد تمنيت أن احصل على صديق مثل الأخ فرزقني الله بأكثر مما تمنيت فحصلت على أخي هذا .....حيث وضع ياسين راحة يده على كتف شبر .

الضابط : كلامك جميل جداً يا بني. و آلان اخبراني ما اسم كل منكما .

ياسين : أنا ادعى ياسين .

شبر : وأنا شبر وابن السيد عبد الرحمن .

الضابط وقد أعاد يداه واشبك أصابعه وجعلهما قبضة واحد أمام فمه : كم عمرك يا ياسين ؟

ياسين : أنا في العقد الثاني يا سيدي .

الضابط : ريعان شبابك ,..... ثم نظر إلى شبر قائلا : وأنت يا بني كم عمرك ؟

شبر : عمري تسعة عشر .

الضابط : نعم , ولمَ أتيتما إلى هنا ؟

شبر : جئنا لنرى والدي .

الضابط : في الواقع لا يسمح بزيارة السجين حسب الإجراءات القانونية وحسب الأوامر التي أصدرتها أنا للتو , ولكن وكتعبير عن جمال منطقك يا ياسين

سأسمح لكما بزيارة السيد عبد الرحمن , ولكن أرجوا منكما أن لا تطيلا الزيارة هناك فهذه إجراءات قانونية يجب أن لا تكسر .

ياسين وشبر :شكرا لك سيدي .

خرج كل منهما من غرفة الضابط نحو الزنزانة التي احتجزَ فيها السيد عبد الرحمن حيث قال شبر :أحسنت ياسين لقد أنقذت الموقف .

ياسين بابتسام وهو يواصل دفع عربة شبر : شكرا لك يا عزيزي .

لحظة وصول الاثنان إلى الزنزانة وبعد أن سمح لهما الحارس الخاص بها قال شبر هاتفاً : أبي .

عبد الرحمن يسرع نحو القضبان الحديدية ويمسك بها : بني شبر ياسين أهلا بكما .

شبر : أبي أرجوك اخبرني ماذا ..... يقاطعه عبد الرحمن : بني , أنا أيضا لا اعرف ماذا جرى .

ياسين : سيدي هل تشتري الطحين من عدة متاجر أم أنك تقصد متجر واحد في كل مرة تتسوق فيها .

عبد الرحمن وقد ترك القضبان الحديدية وجلس على كرسي كان موجود معه في الزنزانة : نعم يا بني دائما ما اقصد متجر واحد في كل مرة .

ياسين : من هو صاحب مخزن الطحين الذي تتسوق منه الطحين ؟

عبد الرحمن وقبضتاه إحداهما تضغط على الأخرى : انه يدعى سميح .

شبر : ولكن يا أبي , أنا اعرف بان سميح يثق بك ويكن لك إحراما كثيراً .

عبد الرحمن : بسبب ما قلت يا بني أنا استبعد أن يتهمني سميح باني قد اشتريت الطحين بأوراق وأموال مزورة منه.

ياسين : تحليلك صائب يا سيدي .

عبد الرحمن : ماذا تقصد يا بني ؟

ياسين : إن من قام بخداع الشرطة يا سيدي هم عصابة العقارب .

عبد الرحمن وهو ينهض ويقترب من القضبان الحديدية ويمسكهما بيديه : وكيف ذلك يا بني ؟

ياسين : لا نعرف كيف فعلتها تلك العصابة الشرسة , ولكن قد أرسلوا لنا رسالة مضمونها أنهم هم من دبروا لك هذه المكيدة , واستغرب لمَ استهدفوك أنت بالذات يا سيدي .

شبر : اعتقد بأني اعرف السبب .

ياسين : وما هو يا عزيزي شبر ؟

شبر : اعتقد أن السبب هو أننا قد قمنا بإخراج سامر من السجن بعد أن سلمنا ثقيل للعدالة .

عبد الرحمن : عن ماذا تتكلم يا بني ؟

شبر : أبي , مؤخراً قامت عصابة العقارب بإلصاق تهمة بأحد أصدقاءنا يدعى سامر . وعلى أثر تلك التهمة قد زُج صديقنا سامر في السجن , ونحن كنا متأكدين من براءته , لذا قمنا باحتجاز احد أفراد العصابة ويدعى ثقيل , ثم قمنا بتقديمه للشرطة , حيث اعترف بان سامر بريء من التهمة التي ألصقت به .

ياسين : ولكن لمَ قاموا باستهداف والدك بالذات يا عزيزي شبر ؟ فكل الأصدقاء قد شاركوا بإمساك ثقيل .

عبد الرحمن : اعتقد أن هناك سبباً آخر , وهو أن عصابة العقارب ..... وقاطعه ياسين : طلبوا منكم دفع الضرائب فرفضت , أليس كذلك يا سيدي ؟

عبد الرحمن : هذا صحيح يا بني , ولكن كيف علمت بذلك ؟

ياسين : كنت احتاج لتلميح فقط .

الشرطي الخاص بزنزانة عبد الرحمن ساخراً : أنتما , هيا تفضلا بلا مطرود, فقد انتهى وقت الزيارة .

شبر : أبي .... يقاطعه عبد الرحمن : لا يا بني لا تحزن , فالزمن يرينا الأوجاع لأمر فيه خيرا لنا .

ياسين : سيدي : هل السيدة كوثر تعرف مخزن الطحين الذي تتسوق منه الطحين في كل مرة ؟

عبد الرحمن : نعم يا بني ؟

ياسين : إذاً سنذهب أنا والسيدة كوثر غدا صباحاً لنرى القصة من صاحب مخزن الطحين سميح .

عبد الرحمن : حسناً يا بني كما تريد , وشكراً لك .

حارس الزنزانة مجدداً وبتجهم : أتكلم معكما أم مع جدران الزنزانة , قلت لكما هيا تفضلا بلا مطرود .

شبر : حسناً يا أبي إلى اللقاء .

عبد الرحمن : إلى اللقاء يا بني , واخبر والدتك وأخيك بأن لا يحزنا .

خرج ياسين وشبر وكان حارس الزنزانة ينظر لهما بطرف عينيه لهما , عابس الوجه وجفناه تغطيان نصف عينيه وحاجباه احدهما أعلى من الآخر وقال ساخراً : هل تعجبكما الزنزانة لهذا الحد ؟

فكان رد ياسين قاسيا : لا , بل أعجبنا وجه حارسها البشوش .

ازداد عبوس وجه الحارس ونزل طرفا حاجبيه للتعبير عن شدة غضبة , فيما كان شبر يحاول أن يكتم ضحكته بكل ما أوتيَّ من قوة لذلك .

(11)

القوانين وضِعت لتُكسر

في الصباح الباكر استقل كل من ياسين و كوثر عربة أُجرة قاصدين فيها مخزن الطحين ذلك المخزن الذي يتسوق منه السيد عبد الرحمن , كانت كوثر تنظر لـ(ياسين) الذي كان يغط بقراءة كتاب ليطرد عن نفسه ملل طول الطريق حيث كانت نظرات كوثر إليه نظرات تمعن في معاني وجه . وفي لحظة ما انتبه ياسين لها واستقرت عيناه في عينيها , أثناء ذلك شهقت شهقة وسمعت قلبها يقول : إنه فجر اللقاء يا كوثر . كان هذا النداء الثاني لها إذ سمعت هذا النداء سابقا ولم تفهم ما كان يقصد قلبها فهي من النوع الذي تهتم كثيرا برسائل القلوب , تبسم ياسين وقال : ماذا هناك يا سيدتي ؟ ..... خجلت كوثر ولم تعرف ما هو التصرف السليم في مثل هكذا موقف . فليس من الصواب أن تمعن النظر في وجهه بهذه الطريقة , فقالت : لا يا بني لا شيء, ولكن كل ما نظرت إليك أتذكر ابني شبر , فأنتما متشابهين إلى حد كبير .

قد يكون هذا احد أسباب نظرات كوثر لـ(ياسين) , ولكن قطعا ليس السبب الرئيسي , فالسبب الأول هو لماذا كلما استقر نظري على ياسين يخفق قلبي ويحن ويقول : يا كوثر إنه فجر اللقاء .... ماذا يقصد قلبي بهذا الكلام ؟ و أي لقاء يقصد ؟ ولماذا كلما نظرت لـ(ياسين) تتغير مشاعر قلبي ؟ والحق أقول كلما نظرت لـ(ياسين) اشعر برغبة في ضمه إلى صدري كما أضم ولديَّ شبر وشبير .....

عند وصول ياسين وكوثر إلى مخزن الطحين المقصود استقبلهما احد العاملين هناك إلى أن أوصلهما إلى مالك المخزن . لقد كان رجلاً كبيرا في السن قليلا, جالساً خلف مكتبه يدير المخزن ويسيّر أوراق البضائع الواردة والصادرة من مخزنه حيث كانت على مكتبه لوحة صغيرة مكتوب عليها : مدير مخزن الطحين سميح .

ياسين : السلام عليكم .

سميح : وعليكم السلام , أهلاً بكما , تفضلا . كيف استطيع خدمتكما ؟

ياسين بعد أن جلس وجلست كوثر مقابلة له عند مكتب المدير سميح : شكرا لك سيدي , نحن نمتلك مخبزاً وكنا نشتري الطحين من عدة مخازن , ولكن كل المخازن يا سيدي لم تكن كما نريد من الثقة في نوعية الطحين التي تبيعه لنا . لذا سمعنا بمخزنكم الذي ذاع صيته من جودة الطحين الذي تقومون ببيعه فقصدناكم .

سميح والبهجة قد ارتسمت على وجه من الكلام الحسن : نعم , نعم هذا صحيح فنحن نبيع الطحين الذي له جودة عالمية .

ياسين وهو يركز نظره على سميح : ولكننا قلقون من التعامل معكم يا سيدي.

سميح والتوتر ساد وجهه : قلقون بشأن ماذا أيها السيد ؟

ياسين : سيدي نحن قلقون من أن تلصقوا بنا تهمة تزوير كما فعلتم مع السيد عبد الرحمن .

سميح وقد وثب واقفاً خائفاً والتوتر قد ازداد على وجهه : من تكون أيها السيد؟

كوثر وصوتها الذي ينبأ ببكاء قريب : أرجوك يا سيدي أنت تعرف عبد الرحمن جيداً , ومن المستحيل أن يقدم على تزوير الأموال والأوراق الخاصة بشراء الطحين منكم ، فقد قال لي أنكم تثقون به كثيراً .

ياسين بعد أن استوي واقفاً وقد ادعى بأنه : أنا أدعى شبر وابن السيد عبد الرحمن .

سميح منكراً : أنا لا افهم ما تقصدان ، والآن تفضلا بلا مطرود .

ياسين وقد قدم رسالة زعيم عصابة العقرب إلى سميح : خذ , هذه الرسالة فيها تبيان كل شيء يا سيدي ، ولا مجال للإنكار .

يأخذ سميح الرسالة وبعد أن أتم قراءتها جلس على كرسيه مطأطئ الرأس : نعم , نحن نثق بالسيد عبد الرحمن ومن المستحيل بل من سابع المستحيلات أن يقدم على أمرٍ كهذا ، وأنا منذُ البارحة لم أنم بسبب عذاب الضمير .

ياسين : ولكن لمَ قمت بإلصاق تلك التهمة بالسيد عبد الرحمن ؟ إذا كنت على يقين بأنه بريء منها .

سميح وقد ضرب المكتب بكلتا قبضتيه ويتكلم بألم ينم عن حزنه الشديد وبعض من الندم وبصوت مرتفع : لقد هددوني بإحراق هذا المخزن الذي هو مصدر رزقي الوحيد , أتفهم ما معنى هذا الكلام .

ياسين بصوت هادئ : عصابة العقارب أليس كذلك ؟

سميح يهز رأسه بالإيجاب ودموعه بدأت بالجريان : نعم ، إنهم هم , لقد هددوني بإحراق مخزني إن لم افعل ما يطلبوه مني , وقد يحرقوه إذا قمت بتبرئة السيد عبد الرحمن أيضاً , فهل تعلم ما معنى أن يحرقوا مصدر رزقي الوحيد , هذا يعني الإفلاس تماماً .

ياسين يطرق رأسه للأرض وقبضتيه إحداهما تشد على الأخرى بقوة : إذاً بقي أمامنا حل واحد فقط .

كوثر : وما هو هذا الحل يا بني ؟

لم يجب ياسين على سؤال كوثر , نهض واقفاً و قال : حسناً سيدي إلى اللقاء.

سميح وهو الآخر يقف أيضاً ودموعه قد بدأت بالجريان ثانيةً : أرجوك يا بني , بلغ سلامي للسيد عبد الرحمن واخبره بقصتي , اخبره بأنني في وضع لا يحسد عليه , اخبره بأننا قد فقدنا أخ وصديق قبل أن نفقد زبوناً محترما لمخزننا , فالحق أقول لم نرى شخصاً طيب القلب مثل السيد عبد الرحمن من قبل .

ياسين : أنا متأكد من أن السيد عبد الرحمن سيتفهم ظرفك جيداً , لذا لا تقلق بشأن هذا .

انصرف كل من ياسين و كوثر وعادوا أدراجهم إلى مدينتهم , ياسين كان يعلم بأن الباب مغلقاً من ناحية صاحب مخزن الطحين سميح . ولكن كان يريد إيجاد مبرراً لما سيقدم على فعله من ناحية إخراج السيد عبد الرحمن من السجن قبل صدور الأمر بمحاكمته و قبل أن تسوء الأوضاع أكثر . عادت كوثر بعد أن استقلت عربة أجرة مع ياسين للعودة إلى مدينتهما حيث عادت خائبة الأمل فقد ضنت أنها ستعود بنتيجة مرضية , في ما عاد ياسين وقد ركز جل نضره نحو أرضية العربة ويداه كانتا إحداهما تشد على الأخرى . فقد كان يرسم خطة إخراج السيد عبد الرحمن من السجن . ولكن أثناء ذلك التفكير إذ كان ضميره يؤنبه لأن الخيار الوحيد الذي تبقى لديه هو أن يُهرّب ثقيل من السجن و في مقابل ذلك سيقدّم الأسود الأدلة التي تثبت براءة السيد عبد الرحمن إلى مركز الشرطة , ولكن هذا الخيار ليس خياراً قانونياً صحيحاً إذ أن ثقيل مذنب , والقانون هو من يقرر متى سيخرج ثقيل من السجن . فقال بعد أن نظر إلى حقول القمح الذهبية من نافذة العربة التي تقلهم إلى مدينتهما : أحياناً يقولون

إن القوانين وضعت لتكسر ..... لقد قرأ هذا الكلام في كتاب نظرية الفستق الذي قام بقراءته مرتين لأن الكتاب كان جيداً ومحتواه الثقافي مفيداً , ولكن كان يقصد بأن القوانين قد وضعت لتكسر, يكون ذلك عندما يحول القانون دون تحقيق العدالة الحقيقي والتصرف بشكل سليم دون أن يتم تخطي حدود القانون فعلاً , وقضية السيد عبد الرحمن خير دليل من وجهة نظره . فيجب إخراج ثقيل بطريقة غير قانونية ليخرج السيد عبد الرحمن بطريقة قانونية هكذا هو قد فهم أن القوانين وضعت لتكسر . ولكنه كان حزيناً جداً , فكيف يمكنه أن يخرج ثقيل من السجن كيف ؟ . كانت كوثر تنضر إليه وهو واضع عشر أصابعه على رأسه وهو محني الرأس إلى أرضية العربة . فقد علمت كوثر أن ياسين يفكر في ذلك الحل الوحيد الذي تبقى له . بعد أن وصلا إلى متجر عبد الرحمن خائبين والحزن سائد عليهما , كان هناك كل الأصدقاء بانتظارهم ولكن ما أن دخل ياسين إلى المتجر ركز جل نضره على طه حيث ارتسمت على وجهه ابتسامة حزينة , وكأن الأمل سيطير منه لشدة الحيرة التي وقع فيها . فما أن رآه طه نهض واقفاً والتساؤل كان واضحاً على وجهه لمَ ؟! لمَ أنا من دون كل الأصدقاء نضر لي ياسين بابتسامته الحزينة ؟ هل هناك أمرٌ يتعلق بي ومرتبط بقضية السيد عبد الرحمن ؟ أم أن هناك شيء آخر ولا أعلمه أنا؟..... كان ياسين مستمرٌ بالنظر لـ(طه) ، وقال بصوت يعتريه الندم والحسرة وقليل من خيبة الأمل وبابتسامة مصطنعة : أنا آسف يا صديقي يجب أن تنتظر ..... هنا كان طه يعتقد بأن السؤال عن ماذا يقصد ياسين؟ في مثل هكذا موقف ليس مناسباً لذا أجل السؤال لوقت آخر , حيث اكتفى الأخير

بالصمت . اتكأ ياسين على احد جدران المتجر حيث اشبك ذراعيه مطأطأ الرأس إلى الأرض , أثناء ذلك اكتفى كل الأصدقاء بالصمت , وكل منهم يريد أن يسأل : ما العمل الآن ؟؟؟ ولكن كل منهم كان يعرف أن هذا السؤال قد يزيد الحزن على عائلة السيد عبد الرحمن , لذا اكتفى الجميع بالصمت .

كوثر ودموعها بدأت بالنزول : ياسين .

ياسين ينضر لكوثر والحيرة قد خيمت على وجهه وكانت واضحة المعالم وما زال صوته يعتريه الندم والحسرة بالإضافة إلى ذبول بطبقة صوته : نعم يا سيدتي .

كوثر تنظر إليه بعينيها الدامعتين : لقد سمعتك تقول بأنه لم يتبقى لك إلا حل واحد فقط , فما هو ؟

ياسين : سيدتي , سيخرج السيد عبد الرحمن ولكن ..... ثم صمت قليلا , فليس من الصائب أن يقول سأهرب ثقيل كي يخرج السيد عبد الرحمن ! , لأنه كان يقدس القانون جيداً , فتهريب ثقيل ليس خياراً قانونياً صائبا , ولكنه كان مضطراً لهذا الأمر . ولكن كيف يمكنني إخراج ثقيل من السجن ؟ كيف استطيع تهريبه ؟ والأكثر حيرة من هذا السؤال هو كيف بإمكاني اقتحام مخفر الشرطة ؟ . هنا أصاب رأس ياسين دوار شديد حتى تخلل وزنه وكاد أن يقع على الأرض لو لم يمسكه زهير .

زهير بصوت مرتفع قليلاً : ياسين , ما بك يا صديقي ؟ هل أنت بخير ؟.....
الجميع بصوت واحد : ياسين .

ياسين وهو ينهض واقفاً : لا بأس يا عزيزي زهير , مجرد دوار خفيف , لا تقلقوا يا أصدقاء .

كوثر : بني ياسين , بإمكانك أن تأخذ قسطاً من الراحة في غرفة ..... يقاطعها ياسين : لا يا سيدتي , قلت لكم أنا بخير , أما عن سؤالكِ بشأن الحل الذي تبقى لدي فلا تقلقي . المسألة وإن طالت فإن شاء الله لن تطول أكثر من أسبوع . و الآن أنا استأذنكم .....نظر لشبر وشبير وكوثر : أعدكم بأني سأعمل على إخراج السيد عبد الرحمن , وسأجد حلاً بشأن هذا , لذا إلى اللقاء .

كوثر : ياسين , لا تبدُ على ما يرام يا بني , لذا كيف ستذهب وحدك إلى منزلك؟

طه : لا تقلقي يا سيدتي , أنا سأذهب معه فهو وأنا جيران لبعضنا . وطريقنا واحد .....

(12)

ليت الماضي يعود.....لأصحح أخطائي

ولكن.....

من داخل القصر ومن خلال نافذتها العملاقة ومن خلف زجاجها اللامع ينظر حاتم إلى حديقة القصر , إلى أشجار الفواكه المرتبة على خط واحد والتي

أينعت ثمارها وبدأت بالتساقط , ينظر إلى طيور الزينة بأنواعها النادرة وألوانها البهية , إلى النهر الذي يشق أرضية الحديقة وأسماك الزينة ذات الألوان الزاهية , إلى النافورتين العملاقتين اللتان تمت المبالغة بحجميهما . ولكن لم يكن سعيدا رغم ذلك أبداً , كل ذلك لم يكن مبهجاً له , حيث كان يقول في قرارة نفسه : لا أعلم ما السر في غياب السعادة عني , هل لأن هذه الثروة العملاقة التي أعيش بين ذهبها وفضتها وبين خدمها وحشمها ليست ملكي بالأساس ؟ أم حقاً أن كل الذين يعيشون خلف جدران القصور الفخمة قد حُرّمت عليهم الابتسامة غير المصطنعة ؟ هل حقا أن السعادة ليست بكثرة المال ؟ بل حتى الكآبة قد تربعت على وجهيَّ وما عاد يعرف ما معنى الابتسام حتى . وما زادني شفقة على نفسي حتى الخدم , نعم حتى الخدم يشفقون عليَّ كون الحزن خليلي في حياتي , حياتي الخالية من البهجة بسبب الروتين المتكرر , الخالية من الابتسام إلا الابتسامة المصطنعة عندما أتفاخر بثروتي التي هي ليست ملكي , حياتي الخالية من الضحكة العفوية إلا ضحكة التكبر والغرور, حقاً حياتي مثيرة للشفقة ولا اللوم الخدم عندما يبدون شفقتهم تجاهي . و الشيء الذي يزيد من بؤسي هو عندما أرى ذلك الخادم الشاب الذي يعمل في قصري الكبير قصري الفخم دائم الابتسام ودائم الابتهاج , مع انه قد قدم لتوه ليعمل في قصري مقابل ثمن معدودة دراهمه ليعيل به أسرته . أحمق من يظن أن السعادة هي من نصيب من يمتلك المال فقط , فالسيد الذي يمتلك القصر برمته يغط في حزن جهل بسببه شيء اسمه السعادة . وذلك الخادم الذي يخدمني لا تكاد أن

تفارق الابتسامة وجهه الضاحك . ...وبصوت مرتفع قليلا : صفية أين أنت ؟

صفية مسرعة حيث وقفت خلفه محنية الرأس : نعم سيدي .

حاتم : اذهبِ ونادي ذلك الشاب الذي يقتلع الأعشاب الضارة .

صفية : أمرك سيدي .

وبعد أن ذهبت صفية لتنادي ذلك الشاب الذي يحسده السد حاتم على ابتسامة الدائمة قَدم الشاب ووقف خلف السيد حاتم لأن حاتم مازال ينظر لحديقة القصر من خلال نافذته العملاقة .

الشاب محني الرأس : سيدي لقد أمرت باستدعائي .

حاتم : ما اسمك أيها الشاب ؟

الشاب : أنا ادعى سامر سيدي .

حاتم : وما هو عملك هنا يا سامر ؟

سامر : ليس لي عمل ثابت سيدي , فتارة أقوم بغسل السيارات , أو أقوم بتنظيف الحديقة من الأوراق المتساقطة أو اقتلع الأعشاب الضارة أو ....يقاطعه حاتم : في أي حي تسكن من هذه المدينة يا سامر ؟

سامر وقد قطع وعداً بأن يوبخ نفسه على ثرثرته و جوابه الذي يدل على عم اللباقة في الكلام , فقد كان يكفي أن يخبر السيد حاتم على أن عمله ليس ثابت فقط, ويقوم بالتوضيح عندما يُطلب منه ذلك , فلمَ هذه الثرثرة !

سامر : أنا من حي السلام يا سيدي .

حاتم وقد استدار أخيراً ليقف وجها بوجه أمام سامر حيث كان صوته مختلف تماماً عن صوته في بدأ الكلام : حيكم قريب لحي المعارف , أليس كذلك يا سامر ؟

سامر ولأول مرة منذٌ أن عمل في هذا القصر يقف بالقرب من السيد المالك للقصر , حيث بان التوتر عليه : نعم , نعم سيدي فنحن قريبون من .....ويقاطعه حاتم مجدداً بصوته الغريب والمخيف والذي لا يبشر بخير : اخبرني هل تعرف شخصاً يدعى طه ابن السيد عابد ؟

سامر وقد أصبح أمام موقفين فموقف انه يبالغ بالإجابة وهذا في رأيه انه يدل على عدم اللباقة في الكلام , والموقف الآخر انه صديق طه فعلاً , ولكن نبرة صوت السيد حاتم ونظرته لسامر عندما سأله عن طه , ظن أن الأمور لا تبشر بخير , لذلك فان سامر وبسبب قلقه من سؤال السيد حاتم قال : اعتذر منك سيدي فليست لي به أي معرفة .

حاتم : يمكنك أن تذهب لعملك .

سامر يحني رأسه : عن إذنك سيدي .

حاتم وقد نادى على الخادمة صفية مجددا وطلب منها أن تخبر زوجته السيدة سمار أن تحضر لصالة الاستقبال . حيث سبقها السيد حاتم وبعد أن استقر جالسا على إحدى أرائِك صالة الاستقبال زفر بزفرة يصعب تفسيرها , أهيَّ لحزنه الدائم والمعتاد ؟ أم لشيء آخر جهلها حتى كاتب الرواية نفسه ؟ ولكنه قال : اعرف , اعرف أن من ينام على ثروة هي ليست من نصيبه لن تكتب له سعادة أبدا , إن السعادة الحقة هي عندما تقتنع بما لديك و أن لا تمد يدك إلى شيء هو ليس من نصيبك . يا ليَّ من مسكين حقاً فقد ظننت أن ما أن أضع يدي على هذه الثروة فأني سأعيش في سعادة مطلقة ..... كان السيد حاتم شارد الذهن لدرجة انه لم يسمع سمار التي كانت تناديه قبل أن تستقر جالسة على أريكة مقابلة لأريكته فقال : هل كنتِ تناديني يا عزيزتي ؟

سمار : أين سافرت بذهنك يا سيد حاتم ؟

حاتم : عزيزتي سمار , إن ابن آدم مسكين حقاً , فكلما كثرت همومه كان أكثر شروداً للذهن . فدعكِ من ما أنا عليه من شرودٍ لذهني واخبريني هل كلمتِ ابنتنا ميار بأن السيد سليم قد طلب يدها لابنه سلام ؟

سمار : أنا لم اخبرها بعد , ولكن ماذا إن رفضت يا عزيزي حاتم ؟

حاتم وبلهجة شديدة تنم عن الإصرار الشديد : عزيزتي سمار ، يجب أن تقنعيها بهذا الأمر الذي لا مناص منه .

سمار وقد أصابتها الرهبة : حسناً ، حسناً يا عزيزي سأخبرها بهذا .

حاتم ولهجته الشديدة : وأنا عند العشاء سأرى ماذا قررت .

ذهبت سمار وبعد أن صعدت السلم للطابق العلوي متجهة إلى غرفة ميار تذكرت كيف أن عابد قد أوصاها بولده طه وزوجته حليمة ، فقالت : أبشر يا معشوقي سأنفذ وصيتك ولو كلفني ذلك حياتي .

ميار بعد أن سمعت باب غرفتها يطرق : تفضل .

سمار وقد تقدمت بخطوات تحمل اليأس والإحباط إلى ميار الجالسة على سريرها والتي كانت تنتظر خبراً من والدتها : هل أرسلكِ لتخبريني بموضوع الزواج من سلام أليس كذلك ؟

سمار وقد أطرقت برأسها للأرض : لقد كانت لهجته شديدة جداً ، ولا أظنه سيتراجع عن الأمر يا عزيزة قلب والدتك .

ميار و عينيها قد أغرورقت بالدموع : أمي صدقيني أُفضل الموت على أن أتزوج من غير طه و.....وقاطعتها سمار بعد أن احتضنت ابنتها ميار وهما على سرير الآنسة ميار : لا يا ابنتي لا تقولي هذا أرجوكِ , وسأعمل جاهدة على أن اعمل على تزويجكِ من طه.....صمتت قليلاً ثم استطردت قائلةً : ولن يحدث ما يريده والدك , بل ولن اسمح أن يتكرر خطأي مجدداً ....لم تقصد سمار أن تتكلم بذلك الكلام الأخير , لذلك صكت على فمها بسرعة جراء كلامها

الأخير الذي ضل سراً مدفوناً لعشرين سنة ..... ولكن ميار تفاجئت من كلام والدتها والذي كان كلاماً مبهماً بالنسبة لها , ذلك الكلام الذي بسببه راحت تسأل والدتها عنه وعن أي خطأ قد ذكرته والدتها بعد أن تحررت من حضن والدتها لها : أمي ماذا تقصدين بأنكِ لن تسمحي بأن يتكرر خطأكِ مجدداً ؟

سمار وقد بان التوتر على وجهها : لا يا ابنتي , لا شيء .

ميار : أمي , بل ستخبرينني عن الخطأ الذي تقصدينه .

سمار : إن الأمر ..... قاطعتها ميار بعينين يُرى من خلالهما الإصرار الشديد بمعرفة الكلام الذي تفوهت به والدتها للتو : أمي , أنا على يقين تماماً بأن هناك أمرٌ ما و لا اعرفه أنا , وأنا مصرة بأن تخبريني بذلك الأمر .

سمار باستسلام : حسناً , حسناً يا عزيزتي سأخبرك , ولكن عديني بأنكِ ستكتمين السر .

ميار : وهل توجد بيننا أسرار يا أمي ؟ ومنذُ متى تطلبين مني أن أعدكِ على كتم السر ؟ ولكن سأسامحكِ هذه المرة , لأن الأمر لا يبدُ هيناً عليك , لذا أعدكِ بأن السر سيبقى دفين صدري , والآن تكلمي يا أمي أنا أسمعك .

سمار : اعلمي يا ابنتي بأني لم أتزوج والدكِ عن حب , فلم أكن أريد الزواج به أصلاً , لأني كنت أحب رجلا آخر .

ميار وهي في اندهاش من كلام والدتها : ومن هو ذلك الرجل يا أمي ؟

سمار : كنت أحب عمك عابد رحمه الله . ولكن عابد كان يعشق فتاة أحبا بعضهما كثيراً , وغفل عني وعن مجاملاتي الكثيرة له سامحه الله . فلم يكن يرى غير تلك الفتاة حليمة والدة طه .

ميار : ما هذا الكلام يا أمي ؟!!! .....ولكن لمَ تزوجتِ والدي إذاً ؟

سمار : كي أكون قريبة من عمكِ عابد , أي كي يكون أمام ناضري دائما وأتغنى برؤيته ولو كان ذلك من بعيد فقط . نعم قد تكون تلك حماقة مني , ولكن بسبب الصدمة التي تلقيتها عندما تزوج عابد من حليمة لم اعد أحسن التفكير آنذاك . لذا يا ابنتي العزيزة لن اسمح لوالدك بأن يزوجكِ لشخص لا تحبيه أنتِ , ولن اسمح له بأن يجعلك تعانين ما عانيت أنا عندما لم أتزوج الشخص الذي أحب , لأجل انه هائم بالثراء .

ميار وهي تخلط ما بين الاندهاش من كلام والدتها وبين الفرح عندما وعدتها والدتها أنها ستعمل على أن تزوجها من الشخص الذي تحب أي طه وعانقت والدتها : شكراً لك يا أمي , ولكن ماذا عن بطش أبي ؟ أنتِ تعلمين انه..... تقاطعها سمار : اسمعيني يا حبيبة قلب والدتك و وحيدتها , لن تتزوجي إلا من طه وكفى , أما كيف وماذا اتركِ هذا الأمر لي , ولا تشغلي نفسك بهذا الأمر , ولا تقلقي حيال أي شي , هل هذا مفهوم يا عزيزتي . ثم استطردت سمار قائلة : إن والدكِ قد أصيب بداء الغرور , فضلا عن إصابته بداء حب الثراء , وإن شاء الله لن يحصل إلا الخير .....صمتت سامر قليلاً وأردفت : وأنا

على علمٍ بأنكما أنتِ و طه وبين مدة وأخرى تلتقيان في الحديقة العامة ليلاً لتريا بعضكما .

ميار باندهاشٍ كبير مصحوباً بتوتر ومحاولة نكران ما قالته والدتها سمار لها مع رشة احمرار وجنتيها : ماذا ؟ ولكن يا أمي أنا .....تقاطعها سمار : لا يا ابنتي لا تقلقي لا احد يعلم بهذا غيري أنا وصفية التي أُأمنها على كل أسراري .....والآن هناك ما يجب أن افعله .

ميار بعد أن هدأت : وما هو هذا الشيء يا أمي ؟

سمار بعدما استوت واقفة وقبلت جبين ابنتها : لا تتعجلي الأمر يا ابنتي , ولتكوني على يقين بأنكِ لن تتزوجي إلا من الشخص الذي يرده قلبكِ .

جاءت صفية بعد أن نادت عليها سمار , صفية كبيرة الخدم وفي عقدها الثالث , حيث كانت محل ثقة كبيرة لسمار : نعم يا سيدتي .

سمار : تعالي يا صفية وأغلقي الباب خلفك لو سمحتي .

صفية تتقدم نحو سمار : كيف حالكِ يا عزيزتي ميار ؟

ميار : أهلا بكِ يا صفية .

سمار : عزيزتي صفية , هناك أمر في غاية الأهمية وفي نفس الوقت في غاية السرية ولا أريد لأي ابن آدم غيرنا أن يعلم به .

صفية : سيدتي لو قدمتُ لكِ حياتي ثمناً لما فعلتهِ من اجلي لن يكفي , وأنت تعرفينني جيداً , وشاهدة على هذا الكلام أيضاً . والآن اخبريني بماذا أخدمك.

(13)

عودةٌ إلى ماضي الفراق

من أمام متجر حلويات الرجل الكبير سعدون تقف سيدة لشراء الحلوى من المتجر , وأثناء الشراء قالت بعد أن رأت صديقة لها : صوفيا ! أهلا بك يا امرأة , كنت سأذهب إلى منزلك بعد أن انتهي من التسوق .

صوفيا : أهلاً بكِ يا ختام , و أراهن أن هناك أمراً في غاية الأهمية وتريدين إخباري به .

ختام : هل تتذكرين تلك السيدة الثرية رحيل ؟

صوفيا وقد رفعت عينيها إلى السماء كمحاولة لتذكر شيء ما في القِدم : أين سمعت بهذا الاسم من قبل يا ترى .....أين ..... أين !

ختام : ما بكِ يا امرأة , السيدة رحيل التي غادرت هذه المدينة قبل عشرون سنة , وصاحبة معمل الخياطة الذي كنا نعمل فيه آنذاك . لم أكن اعلم أن ذاكرتكِ ضعيفة هكذا !

صوفيا وكأنها تذكرت حدثاً مهماً للغاية : رحيل!!! هل تقصدين تلك السيدة التي قامت بتبني إليا بن كوثر ؟

ختام : اخفضي صوتك أيتها الحمقاء , نعم إنها هيَّ .

صوفيا : وما الذي ذكركِ بها الآن ؟

ختام وهي تضحك بصوت منخفض : منذُ ثلاثة أسابيع وقد عادت إلى هذه المدينة ومعها إليا بن السيدة كوثر وقد علمتُ أنها قامت بتسميته ياسين , وقد أصبح شاباً كبيراً ويشبه أخاه الأصغر منه شبر لدرجة كبيرة . ويقطنان في الحي المجاور في حي المعارف .

صوفيا وفي اندهاش مصحوب برهبة عندما سمعت من صديقتها ختام ذلك الكلام وبصوت مرتفع قليلاً : ماذا تقولين ! ولماذا عادت إلى هذه المدينة ؟

ختام : اخفضِ صوتكِ أيتها الحمقاء لمَ هذا التوتر ؟ ما بكِ ؟

صوفيا مجدداً وبصوت مرتفع أيضاً : ولكن .....تقاطعها ختام : ولكن ماذا يا امرأة ؟ ما الذي أصابك ؟ هل جننتِ ؟ قلت لك اخفضِ صوتك .

سعدون ينادي عليهن بضجر : أنتن أيتها السيدات هذا محلٌ لبيع الحلويات وليس مكانٌ للثرثرة لو سمحتنّ .

ختام بضجر من كلام سعدون : الحق ليس عليك , بل على التي تريد التسوق من متجرك المتواضع .

سعدون : بل الحق على الذي أرسلكِ للتسوق , لأنكِ لا تصلحين إلا للطبخ والنفخ , والآن لو سمحتنّ انصرفنّ قبل أن ينقلب مزاجي نحو الأسوأ واضرب أخماساً بأسداس .

وبعد انصراف السيدتين من أمام المتجر وبعد محاولات تهدئة من صوفيا لتبريد أعصاب السيدة ختام جراء غضب الأخيرة من كلام صاحب المتجر سعدون والتي كانت ستدخل في مشاحنة كلامية صاحب المتجر ذاك..... قالت ختام بعد أن هدأت : وأنتِ لمَ أصابكِ التوتر عندما علمتِ بأن رحيل قد عادت إلى هذه المدينة يا عزيزتي صوفيا ؟ اخبريني .

صوفيا : لا , لا شيء ..... والآن تعالي معي إلى بيتي لنشرب القهوة معاً .

أثناء ذهاب السيدتين إلى منزل السيدة صوفيا التي كانت متوترة من عودة السيدة رحيل إلى هذه المدينة . وسبب توترها هو أنها قد شهدت تعرض عائلة السيد عبد الرحمن لحادث سير وذلك قبل عشرون سنة .....

عودة إلى ماضي الفراق

حيث رجعت صوفيا في ذاكرتها إلى عشرون سنة إلى الوراء , أي إلى حادث قد أصاب عائلة السيد عبد الرحمن والذي تزامن مع نزهتها هي و ختام . فعندما وقع حادث للسيد عبد الرحمن والذي كان برفقته زوجته كوثر وابنهما إليا الذي كان طفلاً رضيعاً , حيث وقع لهم الحادث عندما كانوا يستقلون عربة أجرة على طريقٍ بجانب نهر ذو جريان قوي بعض الشيء إلى الجانب الآخر

من ضفة النهر ، حيث ظنت كل من صوفيا و ختام أن الجميع قد فارق الحياة في ذلك الحادث ولكن قطع شكهما صوت بكاء ذلك الطفل إليا ، ما هي إلا لحظات حتى جاء إلى مكان الحادث سيدة تدعى رحيل حيث التقطت الطفل إليا والذي قُذف خارج سلته التي كان نائماً فيها بعد وقوع الحادث , ولحسن حظ إليا انه لم يسقط في النهر واستقر على حافة النهر تماماً . حيث أسرعت رحيل بأخذ إليا إلى اقرب مشفىً لتعالجه لأنه كان مصاباً بجروحٍ سطحية لحسن حضه بسبب سلته التي كانت تحتضنه . فقامت بتبني إليا لأنها ظنت أن والداه قد توفيا بذلك الحادث وتلك الدماء التي كانت عليهما خير دليلٍ على ذلك بالنسبة لها , فقامت بتسميته في ما بعد باسم (ياسين) . لم يكن إليا هو الناجي الوحيد من ذلك الحادث , فبعد مدة قصيرة من الزمن تمت مساعدة السيد عبد الرحمن وزوجته كوثر من قبل الأهالي الذين كانوا متواجدين في الجوار من مكان الحادث , ولكنّ المسكينان قد ظنا أن ابنهما إليا قد سقط في النهر الجاري الذي كان محاذياً لطريق سفرهما وفقد الحياة غرقاً . وكان سبب ظنهما هذا هو أن السلة الحاضنة للطفل إليا كانت مقلوبة ومستقرة على حافة النهر , لقد رثت السيدة كوثر ابنها إليا منذُ وقت حدوث ذلك الحادث وفقده حتى هذا اليوم , كانت تحاول رثائه في الخفاء عن أبنائها كي لا يحزنوا معها , مسكينة كوثر فلم تكن تعلم أن ابنها إليا حي يرزق وقد صار شاباً وفي العقد الثاني من عمره الذي هو نفسه ياسين ..... أما سبب توتر صوفيا هو بسبب تأنيب الضمير لها وذلك لأنها لم تحرك ساكناً لمساعدة عائلة السيد عبد الرحمن بسبب أن ختام قد منعتها من ذلك بسبب غيرة الأخيرة من السيدة كوثر , وكان ضمير صوفيا

يؤنبها أكثر لأنها لم تخبر السيدة كوثر بأن إليا لم يسقط في الماء وأن هناك سيدة تدعى رحيل قامت بمعالجته وتبنيه وقد صار شاباً وفي العقد الثاني من عمره وهو نفسه ياسين حتى هذا اليوم .....انتهى.....

صوفيا وهي تأخذ رشفة من القهوة ووجها بان عليه غبار كآبة : ختام .

ختام : نعم يا عزيزتي ما الذي يشغل ذهنك ؟ اعرف انكِ مشغولة الذهن لدرجة أنني طلبت منكِ قهوة حلوة , إلا انكِ قد صنعتي لي قهوة مرة .

صوفيا : حقا ! أنا آسفة يا عزيزتي , أرجوك سامحيني .

ختام : لا , لا تهتمِ لذلك , والآن اخبريني ما الذي يشغلك ؟

صوفيا : أنا أفكر بأن نخبر كوثر بالحقيقة . وان نخبرها أن ياسين ابن السيدة رحيل هو نفسه إليا , فلماذا .....تقاطعها ختام التي غصت بقهوتها حيث بدأت تسعل بشكل هستيري متفاجئة لما تفوهت به صوفيا , أسرعت لها صوفيا بإحضار كأساً من الماء , حيث قالت ختام بعد ما تجاوزت أزمتها : هل أنتِ مجنونة أيتها الحمقاء ! هل تريدين أن تفضحينا بغبائك ؟

صوفيا : ولكن لماذا ؟ ما السبب ؟

ختام بعد أن شربت كأساً من الماء وتحاول أن تلتقط أنفاسها وراحت تصرخ بوجه صوفيا : يا مجنونة , و أين كنت منذُ عشرون سنة مضت على الحادث

الذي أصاب عائلة كوثر ؟ ثم أتعلمين لو أنك ذهبتِ لتخبريها بالحقيقة فأن السجن سيكون محطتنا التالية , هل فهمتِ ذلك ؟

صوفيا : حسناً , حسناً لن اخبرها , ثم ما شئننا نحن .

ختام وقد همت بالخروج : والآن يجب أن اذهب إلى البيت وإلا فأني سأتأخر, أو أصاب بالجنون من كلامك .....ثم استطردت تقول : تريد أن تخبر كوثر تريد ! فأين كنتِ منذٌ عشرون سنة مضت !..... غبية , حمقاء , غبية .

(14)

ساعة الصفر

في منزل السيدة رحيل , وعلى طاولة اجتمع عليها كل الأصدقاء يفترش ياسين الطاولة بخريطة تخص مخفر الشرطة الذي يحتجز كل من السيد عبد الرحمن وثقيل , ياسين : حسناً يا أصدقاء , هذه هي خريطة مخفر الشرطة وهو هدفنا هذه الليلة لاقتحامه .

فارس مرتبكاً : ولكن يا ياسين هل تعلم بأن في داخل هذا المخفر والذي تريد اقتحامه يسكن فيه رجال شرطة مدججين بالسلاح وعددهم ليس بقليل ؟

ياسين مبتسماً : بالطبع اعلم ذلك يا عزيزي فارس .

زهير : وأنا متأكد بأن لديك خطة لتسهل الأمر علينا يا ياسين , أليس كذلك ؟

ياسين : نعم يا زهير , هو كذلك .

طه : وما هي خطتك ؟

ياسين : حسناً يا أصدقاء , بالأمس ذهبت أنا وشبر إلى طبيب شبر الخاص وطلبنا منه تحضير منوم ذو مفعول متوسط لنستطيع أن ننوم به كل رجال الشرطة في المخفر هناك .

ضحك جميع الأصدقاء لشدة استغرابهم وحماسهم من كلام ياسين هذا , فقال نجاح بحماس : حتماً ستكون مهمتنا لهذه الليلة ذات طابع مسلٍ بالنسبة لنا .

سامر : ياسين , هل يمكنك أن تشرح لنا الخطة بالتفصيل .

مراد : وأرجو منك توزيع الأدوار علينا .

فراس مازحاً : ولكنك ما زلت صغيراً لتشاركنا بهذه الهمة الخطرة يا عزيزي مراد .

مراد متجهم : إياك أن تذكر ذلك مجددا يا فارس , ثم هل نسيت بأني قد شاركتكم في مهمة الإيقاع بثقيل ؟

ياسين مبتسما : الكل سيشارك في هذه المهمة بلا استثناء يا أصدقاء , أما الخطة يا عزيزي سامر فهي كالتالي ... سيكون موعد تطبيق الخطة في لحظة غروب

الشمس لنتفادى أنضار الناس ولنضمن نجاح الخطة بالكامل , لقد كلفت سعدون ذلك الرجل المسن صاحب متجر الحلويات بمهمة مناسبة له ولِسنه الكبير أيضا , ليشترك معنا, فهو سينتحل شخصية بائع الشطائر متنكراً بشكلٍ جيد كي لا يتعرف عليه احد , حيث ستكون كل الشطائر مليئة بالمنوم . و سيقوم سعدون بتوزيع الشطائر عند باب مخفر الشرطة ..... يقاطعه نعيم : وذلك لنستدرج رجال الشرطة ليبتلعوا الطعم أليس كذلك .

ياسين : أحسنت يا عزيزي نعيم .

شبر : المنوم سيبدأ مفعوله بعد خمسة عشر دقيقة , ويستمر مفعوله لمدة ساعة ونصف حسب كلام طبيبيَ الخاص , لنضمن نجاح الخطة من دون أية مشاكل .

ياسين : مراد سيحرس الطريق الأيمن الذي يؤدي إلى مخفر الشرطة , أما آدم سيحرس الطريق الأخرى . فارس وشبير سينتظراننا عند الباب الخلفي لمخفر الشرطة , ومعهما عربة استأجرتها لننقل بها ثقيل بعد أن نخرجه من الزنزانة المحتجز فيها , ومن المحتمل أن يأكل ثقيل من الشطائر التي تحتوي على المنوم .....قاطعه الجميع بالضحك.....وأعقب فارس قائلاً :البرميل ثقيل حقاً سيهلكنا بنقله وهو نائم . وأنا لا استبعد أن لا يأكل من تلك الشطائر .

آدم : ولكن يا ياسين , عندما نخرج ثقيل من مخفر الشرطة أين ستكون وجهتنا.....؟ اعني هل سيكون هناك مكان محدد لنسلم ثقيل لعصابة العقارب ؟

ياسين : نعم يا عزيزي آدم , لقد جاء إليَّ احد إفراد العصابة بالأمس وسلمني رسالة حُددَ فيها المكان الخاص الذي سنسلم فيه ثقيل للعصابة , ليسلمونا بدورهم الأوراق الخاصة ببراءة السيد عبد الرحمن .

نعيم : هلا أكملت متابعة الخطة يا ياسين .

ياسين : حسناً , بعد عشرون دقيقة من توزيع كل الشطائر لرجال الشرطة , وإضافة عشر دقائق أخرى لضمان أن جميع من في المخفر قد نام بواسطة المنوم . سندخل أنا وزهير ونجاح وطه ونعيم وسامر إلى داخل المخفر لنأخذ ثقيل من هناك . والآن هل لدى أحدكم أي سؤال ؟ .

بعد أن أبدى الجميع عن إعجابهم بالخطة و فهمهم لها , قال ياسين والتردد يعلو تعبيرات وجهه : يا شباب , لدي طلب منكم .

شبر وقد شعر أن لدى ياسين كلام ذو جدية : ياسين , ماذا هناك ؟ قل .

ياسين : يا أصدقائي الأعزاء إن هذه الخطة ليست بالسهلة إن لم نتكاتف ونصبح جميعا يد واحده . ولكن التكاتف لا ينفع وحده هنا , لأن القطيع قد يصيبه التيه

إذا لم يكن هناك قائد يقوده , لذا هل تسمحون لي بقيادتكم في هذه المرة ؟ لأن الأمر له من الجدية ما يقلقني .

بعد أن أكمل ياسين كلامه نهض الجميع إلا شبر بسبب حالته ولزم كرسيه المتحرك بعد أن نهض طه وزهير وسامر معبرين عن موافقتهم بأمر قيادة ياسين لهم , فقال شبر : ياسين , لا اعتقد أن هناك من يمانع , أليس كذلك يا أصدقاء ؟

هتف الجميع بالإيجاب , و أعقب سامر : ياسين لقد اخبرني أخي مراد بالخطة التي وضعتها للقبض على ثقيل وإخراجي من السجن , فالحق أقول لن يستطيع احد أن يسيّر الخطة أفضل منك واعتقد أن الجميع يوافقني الرأي, أليس كذلك يا أصدقاء ؟

ياسين مبتسما : شكرا لك يا عزيزي سامر , و لكن مسيّر خطتنا هذه هو الله سبحانه وتعالى إن شاء الله .

هتف الجميع بالإيجاب لكلام سامر , وأعقبهم طه : عزيزي ياسين , لقد اثبتَّ درايتك وقدرتك على القيادة من قبل , لذا لا نجد احد بيننا غيرك يستطيع أن يقودنا لهذه المهمة الخطرة والصعبة , فاقتحام المخفر لإخراج سجين هذا شيء ليس من السهل تنفيذه , ولم نسمع عنه إلا في الروايات الخيالية .

ياسين ينهض معبراً عن شكره : شكرا لكم يا أصدقاء , وشكرا لكم ثانيةً لثقتكم هذه وأتمنى أن أكون عند حسن ظنكم , واعدكم باني سأفعل ما يجب عليَّ فعله

من أجل نجاح الخطة , ولن تنجح الخطة إلا بجهودكم , والله ولي التوفيق ....يمد ياسين يده وأعقب قائلاً بحماس : والآن ضعوا أيديكم على يدي ولنتعاهد بأن يشد احدنا ظهر الآخر .

وضع الجميع أيديهم على يد ياسين وهتفوا بالإيجاب والحماس ساد الجو الذي هم فيه .

ياسين : في بعض الأحيان قد يضطر الإنسان أن يعمل عملا خارج حدود القانون من جهة , وذلك لأجل أن يطبق القانون من جهة أخرى . وخير دليل على كلامي هذا هي قضية السيد عبد الرحمن , لأننا سنخرج ثقيل من السجن بطريقة غير قانونية وهذا مخالف للقانون , لنثبت براءة السيد عبد الرحمن ونعيد له حريته , واظن أن هذا محايد للقانون . كثيرا ما يقال **"**كلمة حق يراد بها باطل**"** , وكنت أتساءل هل يمكن أن يحدث العكس أي **"**كلمة باطل يراد بها حق**"** . ولم أتصور بأننا سنضع خطة لننفذها و تطابق قول **"** كلمة باطل يراد بها حق **"** . إن الالتزام بالقانون هو أمر إلهي , والأمر الإلهي واجب على الجميع تنفيذه , وهو ليس واجبا فحسب بل هو شرف للجميع أيضا. ليسامحنا القانون هذه المرة , فالظلم مرٌ طعمه لا يُحتمل , ولن نسمح للسيد عبد الرحمن بأن يتذوق طعم الظلم أكثر من هذا . فما سنفعله نحن هو لأمر نريد تحقيق العدالة فيه .

عندما هم الجميع بالخروج من بيت السيدة رحيل وما أن فتح ياسين الباب ليخرج أصدقاءه , حتى وجد عند عتبة الباب السيدة حليمة والدة طه وهي منهكة

ووجهها شاحب وعيناها ينبئان بأنها ستبكي بعد أن تبلغهم بخبر غير سار أبدا , فقال طه والمسكين قد غلب الاندهاش صوته الذي تخلله شيء من التلعثم : ماذا هناك يا أمي !

حليمة : ميار .

طه : ما بها يا أمي ؟ تكلمي أرجوكِ .

حليمة ولم تستطع كتمان بكاءها : عمك يريد أن يزوجها بالغصب لأبن احد أصدقائه .

طه ونيران الغضب تكاد أن تخرج من عينيه قائلاً : حاتم أيها الحقير , لقد سرقت ارثي وارث والدتي منا , وتريد أن تسرق سعادتي أيضا . فالحق أقول سأرتكب فيك جريمة ادخل السجن بسببها أيها الوغد .

أمسك ياسين طه الذي اندفع الأخير بسرعةٍ ليذهب إلى قصر السيد حاتم , حيث قال ياسين وهو ممسك بـ(طه) بقوة : صدقني يا طه نجوم السماء اقرب إليه من أن ينال مراده , ولكن اهدأ أرجوك .

فارس متسائلا : ولكن من تكون ميار ؟ بل وما القصة أصلاً , فليتكلم أحدكم.

سامر : أظنها ابنة السيد حاتم وهو نفسه عم طه .

بعد أن رجع الجميع إلى داخل بيت السيدة رحيل قال آدم بهمس لـ(ياسين) : والآن ما العمل ؟

طه وقبضتاه تشدان على بعضهما ومحني الرأس وقد سمع كلام آدم : سنكمل مهمتنا أولاً , وبعدها سأرى ما عليّ فعله .

ياسين واضعاً باطن كفه على كتف طه حيث كان الأخير مطأطأ رأسه إلى الأرض : لا بل سنكمل مهمتنا وبعدها سنفعل المستحيل من أجل أن نعيد إرثك وإرث والدتك بل وسنعمل أيضا على أن تكون ميار من نصيبك لا من نصيب ما يطمح له عمك حاتم . ولن تكون وحدك , ثم هل نسيت أننا للتو قد تعاهدنا أن نساعد بعضنا البعض ؟.... ثم نادى بأعلى صوته : هل انتم معي يا أصدقاء .

ضج بيت السيدة رحيل بهتاف الجميع بالإيجاب , مبدين موافقتهم لكلام ياسين .....

أمام مخفر الشرطة

أجتمع كل الأصدقاء أمام مخفر الشرطة وعلى مسافة تقيهم أنظار الشرطة , ملثمين ومتحمسين و مجهزين بما يكفيهم من الثقة بأنفسهم , واللازمة لمهمتهم الخطرة , فاقتحام السجن ليس بالشيء الهيّن بل ولا يخطر حتى على الأذهان , حيث التفَّ الجميع حول ياسين فقد وجدوه القائد الحقيقي الذي يبث الحماس في نفوس الجميع , والجميع ينظر إليه بإعجاب , فكل شخص منهم يراه خير قدوة له , لأخلاقه الحسنة وطيبة قلبه ولسانه اللبق , وهناك سر في أن جميع

الأصدقاء قدموه على أنفسهم وهو أنه لم يكن يفضل شخصاً على آخر . وعند غروب الشمس بالكامل .

ياسين : أين سعدون؟ لمَ هذا التأخر ؟

فارس : ها هو سعدون لقد وصل .

سعدون مبالغ بالتنكر : ياسين أظن بأني سأرفع الأجر الذي اتفقنا عليه قليلاً ، لأن هذا التنكر متعب .

ياسين مبتسماً : دع المهمة تنجح أولاً ، ثم اخبرني عن المكافئة التي تريدها .

سعدون مقهقها : إن التعامل معك مربحٌ حقاً .

ياسين : والآن يا أصدقاء لقد حانت ساعة الصفر ، مستعدون ؟

الجميع : مستعدون... .يعقبهم ياسين : شبير وفارس خذا العربة التي سننقل بها ثقيل واذهبا إلى الجهة الخلفية من المخفر وخذا موقعاً عند الباب الخلفي له وانتظرا هناك .

شبير وفارس : عُلم .

ياسين : مراد وآدم خذا موقعيكما على الطرق التي تؤدي إلى المخفر واحرساها جيداً . وحاولا أن تمنعوا من يريد العبور منها حتى لو التجأتما إلى استخدام الحيلة أو القوة ، مفهوم .

مراد و آدم : مفهوم .

ياسين : سعدون ، خذ عربة الشطائر واتجه نحو باب المخفر ، ونادي بأعلى صوتك شطائر مجانية .

سعدون : والأجر ؟

ياسين : ما به ؟

سعدون : قد يرتفع قليلاً ... . يعقبه ياسين : قلت لك لا بأس يا سعدون ، والآن هيا انطلق في مهمتك .

سعدون : حسناً.....ولحظة وصوله إلى باب مخفر الشرطة بدأ ينادي بصوت مرتفع وأمام مسامع ومرأى من الشرطة : شطائر مجانية... شطائر مجانية....من يأكل شطائر مجانية... .يقاطعه أحد رجال الشرطة : توقف أيها البائع , هل هذه الشطائر مجانية حقاً ؟

سعدون : وماذا سمعتني أنادي عليها أيها الشرطي ؟!

الشرطي خجل وتوتر بسبب سؤاله الذي هو في غير محله : لا ، لا بل تفاجئت من هذا الأمر فقط أيها البائع ، فلأول مرة أرى شخصاً يبيع الشطائر بالمجان .

سعدون : نعم ، نعم يا بني , فقد أصبت ربحاً وفيراً هذا اليوم ... والآن ما أريده منك أن تأخذ كل الشطائر التي لدي إلى رفاقك الذين هم في المخفر ,

فأنتم تستحقون هذه الشطائر التي ستجعل آخركم ينام بكل راحة بال (تقهقه سعدون).....ولم يفهم الشرطي ما قصده سعدون المتهور .

الشرطي : حسناً , في المخفر ثلاثون شرطياً و أربعة سجناء, هل معك هذا العدد من الشطائر ؟

سعدون : بل معيَّ الضعف يا بني أو أكثر من ذلك , أرجوك خذها كلها .

بدأ الشرطي بنقل كل الشطائر التي كانت تحتوي على المنوم بمساعدة شرطي آخر , حتى نفذت عربة سعدون بالكامل فقال في نفسه : بالهناء والشفاء وأحلاماً سعيدة .

فقال الشرطي : شكرا لك أيها البائع .....فقال سعدون في قرارة نفسه أثناء ما هم بالذهاب : الحق ليس عليك بل على الذي عينك شرطياً هنا .

انتظر الأصدقاء عشرون دقيقة حتى يتأكدوا بأن جميع رجال الشرطة قد ناموا متأثرين بالمنوم فعلا , دخل ياسين وطه وزهير ونجاح وسامر ونعيم إلى داخل المخفر ملثمين متوترين فلم يتصور احدهم أن يقدم على اقتحام السجن أبداً . لقد زار ياسين المخفر مرتين سابقاً , مرة لزيارة سامر عندما قبض عليه الشرطة ومرة لزيارة السيد عبد الرحمن , أي انه يعرف طريق الزنزانة التي يقطن فيها ثقيل , بعد أن اخذوا مفاتيح الزنزانة من الحارس التي كان يحرسها والذي هو الآخر كان نائما أيضا , دخلوا إلى زنزانة ثقيل حيث كان ثقيل لسوء

حضهم نائماً , بل ويغط في نوم عميق جداً حتى قال نجاح بضجر : هذا ما كنت أخشاه , والآن حقاً سنهلك عند حمل هذا الدب ثقيل الثقيل .

زهير : ثقيل اسم على مسمى فعلا .

ياسين : حسناً يا أصدقاء الأفضل أن نسرع , هيا فلنحمل ثقيل ونخرج به من الباب الخلفي للمخفر ..... وإثناء همهم بحمل ثقيل حتى سمع الجميع صوت شخص من داخل حجرة الزنزانة يقول : ياسين هل هذا أنت . وما إن سمع الأصدقاء هذا الكلام كادت قلوبهم أن تسقط من صدورهم لشدة خوفهم فظنوا في بدأ الأمر أن هناك شرطيا لم يتناول من شطائر سعدون ...

فقال ياسين مهدئاً من روعهم : لا تقلقوا يا أصدقاء فهذا السيد عبد الرحمن هو يقطن هنا أيضاً .

ياسين بعد أن ذهب إلى زنزانة السيد عبد الرحمن : كيف حالك يا سيدي .

عبد الرحمن وهو يمسك بقضبان زنزانته الحديدية : بني ياسين , ما الذي تفعلونه هنا ؟ ولمَ أنت ملثم هكذا !

ياسين وهو يكشف اللثام عن وجهه : سيدي خروجك من السجن مرهون بإخراج هذا السجين المجاور لزنزانتك من هنا .

عبد الرحمن : ماذا ! ماذا تقصد يا ياسين ؟

ياسين : لا وقت لدينا للشرح الآن يا سيدي , فيجب أن نبتعد عن المدينة قدر الإمكان بعد أن نأخذ هذا السجين من هنا , وسنشرح لك الأمر فيما بعد , والآن إلى اللقاء , ولا تنسى أن تأكل من تلك الشطائر التي وضعنا فيها منوماً , كُلها لتنام كي لا تكون شاهدا على ما حدث .

انصرف ياسين وقد تعاون الأصدقاء على حمل ثقيل ولكن قبل أن يخرجوا من ردهة الزنازين اعترضهم شرطي قائلاً وبصوت خشن وغليظ وهو رافع بندقيته في وجوههم : قفوا وإلا فإني لن أتردد بإطلاق النار عليكم ..... سقط ثقيل النائم من أيدي الأصدقاء على الأرض لاندهاشهم باعتراض شرطي لم يحسبوا له حساباً , فقد ظنوا أن كل من في المخفر يغط في نوم لا شك فيه ! ..... فأردف الشرطي قائلاً وبلهجة تنم عن الإصرار الشديد : إذا ظننتم بأني سأتردد بإطلاق النار عليكم فليجرب أحدكم أن يتقدم أو يعصي أوامري.

هدأت الأنفاس , وكادت قلوب الجميع أن تخرج من صدورهم , وهم بين اليأس والأمل , مع أنهم لا يعلمون ما سبب أملهم في الخروج من محنتهم هذه . شرطي في المخفر لم يأكل من تلك الشطائر ولم ينم , وهو الآن قد أوقفنا برفع بندقيته في وجوهنا ! ما مصدر الأمل الذي نشعر به الآن يا ترى؟

زهير : ترى هل انتهى أمرنا وفشلنا بمهمتنا ؟

طه : والآن ماذا نفعل يا ياسين ؟

ياسين وبثبات : أيها الشرطي .

الشرطي : ماذا تريد أيها المجرم ؟

ياسين :لا أريد أي شيء منك , ولكن أريد أن أخبرك بأني أتمنى لك أحلاما سعيدة!

الشرطي بعد أن رفع احد حاجبيه متسائلا عن ما كان يقصده ياسين : ماذا تقصد يا ..... لم يكمل الشرطي كلامه حتى أتته ضربة من خلفه على رقبته أفقدته وعيه .

الجميع : مرحاً لك يا آدم ..... يعقبهم ياسين : في وقتك المناسب يا عزيزي آدم , أحسنت .

آدم بعد أن رفع الحجر الذي ضرب به الشرطي : هذا واجبي يا أصدقائي الأعزاء , أنا والحجر هذا في خدمتكم دوماً متى ما أردتم ذلك .

ياسين : والآن فلننهي مهمتنا بأسرع ما يمكن , فالجرة لا تسلم في كل مرة .

تحت ستار الليل المظلم يخرج الأصدقاء من الباب الخلفي للمخفر, حاملين ثقيل الذي يساوي جسده ثلاثة أشخاص من حامليه لحجمه الكبير , لحظة خروجهم من الباب إذ يأتي شبير وفارس بالعربة لنقل ثقيل وقد كان مراد معهم أيضا بعد أن علم أن ياسين قد أنهى الأمر مع من كان معه , وعند همهم بالذهاب وتحركت العربة باتجاه الطريق التي تؤدي إلى الطريق الذي يخرجهم من المدينة نظر ياسين إلى خلفه وعيناه تودعان المخفر بحزن , حيث كان هناك

أمرٌ يقلقه حيال هذه المهمة الخطرة . فقال طه متسائلا : عزيزي ياسين , أظن بأن خطتنا نجحت نجاحاً باهراً , فمن كان يتصور أن ندخل المخفر بهذه الطريقة ونخرج ثقيل ومن دون أي عثرات تعترض طريقنا سوى الشرطي والذي خلصنا منه آدم , ولكن مالي أراك وكأن هناك ما يقلقك؟

ياسين وبزفرة حزن قال : اسمعوني يا إخوتي الأعزاء , لقد قمت بمناداتكم إخوتي لأن أمركم بات يهمني أكثر بعد هذه المهمة الخطرة , بل المهمة السوداء التي أخاف عليكم من مما ستخلفه في نفوسكم !

زهير : ولكن ماذا تقصد يا ياسين ؟ لم نفهم ما تقوله .

ياسين : يا أصدقائي , إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة , واقتحام المخفر ليس أمراً صائباً , ولا يفعل ذلك إلا من خرج عن القانون ولكن لم نفعل هذا الأمر الخطر إلا لأمر فيه إحقاق الحق لشخص مظلوم وهو السيد عبد الرحمن , ولكن يبقى اقتحام المخفر بعد تنويم من فيه من رجال الشرطة أمرا ليس صائباً , وأخشى عليكم أن يهون كل أمر سيء أو أمر خارج عن القانون بعد أن قمنا بهذه المهمة التي هي بالأساس خارج حدود القانون فعلاً, وأخشى أن تكون هذه خطوتنا الأولى لارتكاب ما يسيء لحدود القانون .

طه واضعاً كفه على كتف ياسين : لا يا عزيزي لا تقلق حيال هذا الأمر .

ياسين يمد يده إلى أصدقائه قائلا : والآن يا أصدقاء ضعوا يديكم على يدي ولنتعاهد على أن لا نفعل أي شيء يسيء للقانون .

وضع الجميع أيديهم على يد ياسين والعربة تسير بهم نحو مقر عصابة العقارب متعاهدين أن لا يقدموا على فعل أي شيء يسيء للقانون , فأعقب ياسين : إن من يقدم على فعل شيء سيئ مهما كان صغيراً وبسيطاً ثم لا يؤنبه ضميره على ما فعله من ذلك الأمر السيئ باعتبار أن ما فعله هو أمر بسيط ولا داعي لتأنيب الضمير , فأنه حتما سيفعل ما هو اكبر من هذا الأمر السيئ, ثم يزداد في أفعاله السيئة شيئا فشيئا إلى أن ينتهي به المطاف إلى مجرم محترف وربما سفاح أو كبير عصابة إجرامية أو إلى ما شابه ذلك . وكل هذا بسبب انه قد ارتقى الدرجة الأولى من سلم اللامبالاة , لأنه قد أقدم على فعل شيء سيء ولكنه كان صغيرا ولم يستمع لتأنيب ضميره في بدأ الأمر لأن ما فعله كان أمر سيئ نعم , ولكنه كان أمر صغيرا . وهكذا ستهون عليه بقية الأمور حتماً , فحقا رحلة الإلف ميل تبدأ بخطوة واحدة و صغيرة . لذا ارجوا منكم أن تنتبهوا لأنفسكم وان تعاتبوا أنفسكم على كل أمر سيئ صغير , حتى تكونوا انقياء من الداخل كما انتم الآن انقياء من الخارج ..... ثم طلب من زهير الذي كان يقود العربة : عزيزي زهير انعطف يميناً عند تلك الطريق .

عند وصولهم ودخولهم إلى مجمع من المنازل القديمة والمهجورة والمحطمة سمعوا شخصاً يناديهم : توقفوا , من انتم ؟ وماذا تفعلون هنا ؟

ياسين من على العربة , حيث لم يعرف أين مصدر ذلك الصوت بسبب الظلام وكثرة حطام المنازل القديمة والمهجورة : اخبر الأسود بأن ياسين وأصدقائه قد وصلوا .

الشخص بعد أن ظهر من خلف أحد مجاميع ذلك الحطام : هو بانتظاركم الآن تفضلوا .

بعد أن دخل الأصدقاء بعربتهم إلى داخل مجمع من المنازل المحطمة بسبب ما مر عليها من غابر السنين , كان هناك عدد من عصابة العقارب يفوق عدد الأصدقاء بأربعة أضعاف , كان الأسود مستقرا على كرسيٍ بينهم واضعا قدم على الأخرى , ترجل ياسين وتقدم نحو الأسود فقال : يا إخوتي انزلوا ثقيل من العربة لو سمحتم , وبعد أن استقر ثقيل أمام الأسود , ثقيل الذي مازال يغط بنوم عميق إذ كان المنوم الذي وضعه الأصدقاء في تلك الشطائر مازال سارِ المفعول ..... قال الأسود وهو يصفق : صدقني يا ياسين لقد أبهرتني حقاً ! لم أتوقع منك هذا النجاح الباهر .... يقاطعه ياسين : لست وحدي يا أسود بل هؤلاء الأصدقاء هم من كان لهم الفضل في نجاح الخطة .....ثم أردف وقال ..... ثم إن وعد الرجال الأحرار حق عليهم الإيفاء به , وإلا فحرام أن يكونوا رجالاً خلاف ذلك . فنحن قد أوفينا بعودنا, والآن أوفِ بوعدك لنا .

الأسود : إن الأوراق ليست معي يا ياسين .

عندما سمع ياسين هذا الكلام من الأسود انقض بسرعة على الأسود وامسكه من طاقيته ..... وأثناء انقضاض ياسين على الأسود أراد جميع عصابة العقارب مهاجمة ياسين ولكن الأسود أومأ إليهم بيده بالتوقف وألا يتدخلوا ..... ياسين وهو مازال ممسك بالأسود من طاقيته قال و الغضب بان من عينيه : اسمع يا هذا , لقد قمتُ برمي أصدقائي إلى التهلكة باقتحامنا المخفر,

من اجل أن نخرج ثقيل منه , ومن اجل أن تسلمنا ألأوراق التي تثبت براءة السيد عبد الرحمن , والآن تخبرني بأن الأوراق ليست معك ! أهذه هي الرجال يا كبير اكبر عصابة في هذه المدينة ؟ أهذه هي المروءة يا أسود ؟ أهذه هي الشهامة أيها الجبان .....الأسود وقد تحرر من قبضت ياسين وأثناء ترتيبه لسترته السوداء التي كان يرتديها قال : ياسين , عندما اقتحمتم المخفر وبعد أن خرجتم منه بعثت احد رجالي إلى المخفر ليضع كل الأوراق التي تثبت براءة السيد عبد الرحمن عند مكتب ضابط المخفر .

ياسين : هل ما تقوله .... يقاطعه الأسود : أنا لا اكذب يا ياسين , وغداً صباحا سيخرج السيد عبد الرحمن . أما ما فعلته الآن معي بإمساكك إياي بهذه الطريقة . فدعني أخبرك بأنه لم يجرؤ أي احد من قبل أن يقف أمام ليتكلم معي بهذه الطريقة أو يفعل معي ما فعلته أنت للتو . ولكن شجاعتك لتهاجمني وسط كل هذا العدد الكبير من أفراد عصابتي قد أعجبتني . لذا سأغض غيضي عنها .

ياسين وقد هم بالرحيل : اسمعني يا اسود تلك النجوم التي في السماء حتى لو اختفت يوماً عن الوجود فستخلف خلفها أثرا ليذكَّر الخلائق بها , ولا اعتقد أنك عاجز عن هذا يا عزيزي , والسلام ..... بعد أن تحركت العربة التي ركب فيها ياسين ليذهبوا إلى منازلهم نادى الأسود على ياسين قائلاً : ماذا تقصد بكلامك هذا يا ياسين ؟ توقف .

لم يهتم ياسين لمناداة الأسود الذي أومأ لرجاله الذين أرادوا إيقاف العربة , حيث أصاب الأسود فضولٌ كبير كي يعرف ما الذي يقصده ياسين بكلامه هذا.

عندما وصل الأصدقاء إلى مدخل المدينة توقف زهير الذي كان يقود العربة بعد أن طلب منه ياسين ذلك , كما طلب ياسين من جميع الأصدقاء أن يترجلوا من العربة . حيث وقفوا جميعا في وسط بوابة مدخل المدينة , قال ياسين الذي كان واضعا راحة كف يده على كتف طه : يا أصدقائي الأعزاء, لقد أثبتنا لبعضنا البعض في هذا اليوم أننا جديرون بالثقة بأنفسنا . وكذلك أن لا وجود للصعاب أمام تكاتفنا وتعاوننا معاً , لذا فمهمتنا القادمة هي إعادة الإرث الذي تركه السيد عابد رحمه الله إلى أخينا طه ووالدته , وهذا أمر أصبح واجب علينا . وأنا ادعوكم بالإنابة عن صديقي طه إن لم يمانع طبعاً لحفل زفافه هو وميار ....يقاطعه الجميع بالهتاف ومباركة طه الذي سعى جاهداً من اجل حبس دموعه.....

(15)

محطة الفراق المؤلم

وفراق لم يُحسب له حساباً

بعد أن رحبت السيدة رحيل بصديقتها القديمة صوفيا , لاحظت السيدة رحيل توتر صوفيا وتلعثم كلامها وانحناء رأسها ووضعية جلوسها , كل ذلك برهنَ لرحيل أن لدى صوفيا خبر قد يكون غير سارٍ لها بعض الشيء . ..... قلقت رحيل حيال ذلك الأمر فقالت : عزيزتي صوفيا , أنا أشكرك لزيارتكِ هذه لي

, فالحق قد سرني ذلك . وأنا أرى أن هناك ما تريدين أن تخبريني به, أليس كذلك ؟

صوفيا وقد زاد توترها وبان أكثر على وجهها : سيدتي , ولكن هل تعطينني الأمان ؟ .... رحيل وقد أوجست بعض الخوف جراء كلام صوفيا : عزيزتي صوفيا تكلمي لقد أقلقتني حقاً , تكلمي و لكِ مني كل ألامان .

صوفيا : في بدأ الكلام , أريد أن أسألكِ , ياسين ابن من ؟

رحيل وقد توسع بؤبؤ عينيها بسبب سؤال صوفيا المفاجئ والغريب : ياسين هو ابني أنا بالطبع . ولكن لمَ هذا السؤال ؟

صوفيا واغرورق عينيها بالدموع : لا يا سيدتي أنا اعرف أن ياسين ليس ابنكِ. واعرف انكِ قد وجدتيه ملقىً على حافة النهر بعد أن تعرض لحادث مع عائلته قبل عشرون سنة أي عندما كان طفلا رضيعاً .... فقاطعتها رحيل بخوف مصحوب بقلق , وقالت بعدما نهضت قائمة : صوفيا, ما الذي تتكلمين عنه أيتها المجنونة .

إن تأنيب الضمير لا يستطيع أن يتحمله البعض من البشر , ففي بدأ معاتبة الضمير لصاحبة سيمنعه من لذة النوم ثم من الأكل وبعدها يسلبه طعم الراحة إلى أن يصلح ما عليه من ذنب , هذه رحمة من الله تعالى , فهي دائما ما تصب بصالح الإنسان , وإذا لم يصلح المذنب ذنبه وتجاوز مرارة عذاب الضمير , فسيموت قلبه , ويصبح إنساناً قاسياً..... وصوفيا خير شاهد على كلامنا

, فهي لم تتحمل مرارة عذاب الضمير , فقد كانت شاهدة لمعانات كوثر عندما فقدت ابنها وقرة عينها إليا , بعد أن ظنت كوثر أن ابنها إليا قد وقع في ذلك النهر بعد أن تعرض معها هي وزوجها للحادث . ظنت رحيل أن كل من في الحادث قد توفيَّ ما عدا إليا التي قامت بتسميته ياسين , ومعالجته من كل الجروح التي إصابته نتيجته الحادث . رحيل حالما أخذت إليا من ذلك الحادث انتقلت به إلى مكان آخر في مدينة أخرى . وعندما عادت رحيل ومعها ياسين و الذي هو نفسه إليا . ظنت صوفيا أن ضميرها قد يقتلها إن تكتمت على الحقيقة أكثر . فقد رأت أنها ستتحرر من عذاب الضمير لها إن أخبرت رحيل بذلك . حتى أخبرت رحيل بالقصة كاملة من الألف إلى الياء , صاحب ذلك بكاء رحيل وكادت أن تعاقب صوفيا على سكوتها حتى هذا اليوم , لولا الأمان الذي أعطته لصوفيا في بدأ الكلام . غضبت وبكت رحيل , وبصوت مرتفع عاتبت صوفيا التي تكتمت على الأمر حتى هذا اليوم . حيث قامت رحيل بطرد صوفيا من منزلها , لتبقى رحيل وحيدة في منزلها , مع البكاء ومع الصدمة الموجعة التي تعرضت لها لتوها . فالحق كانت ضربة قاضية لها و منعطف كبير في حياتها , وأي منعطف !

أثناء ذلك الحديث الذي دار بين صوفيا ورحيل . كان ياسين قد ذهب إلى المخفر مع كل الأصدقاء ليبارك للسيد عبد الرحمن بخروجه و براءته من التهمة التي وجهت إليه سابقاً , والمحزن حقاً أن عائلة السيد عبد الرحمن كانت بأكملها هناك وهم لا يعلمون أن ياسين هو نفسه إليا أحد إفراد عائلتهم . دعت

كوثر كل الأصدقاء الذين شاركوا بالمهمة الخطرة من اجل إخراج السيد عبد الرحمن من السجن إلى مأدبة طعام كشكر لهم , حيث كانت كوثر تنظر لـ(ياسين) بين الحين والآخر , ولكن هل كانت نظرات كوثر كنظرات شكر لـ(ياسين) ؟ أم نظرات أم حنون لـ(ياسين) بالغيب ؟ كانت المأدبة مصحوبة بتبادل الأحاديث والمزاح بين الأصدقاء , ساد الضحك جوهم الذي أسسه الفرح بخروج السيد عبد الرحمن . وفي نهاية اليوم وقبل ساعة على غروب الشمس واجتماع الأصدقاء في مكانهم المعتاد بطلب من ياسين أو (إليا) أي كان من الأسمين , من اجل إيجاد حل لقضية طه وهي استرجاع إرثه وإرث والدته من غاصبهم حاتم وكذلك التخطيط لهذه المهمة التي فيها مسألة حياة أو موت ! لان السيد حاتم قد أصيب بداء حب الثراء ولا اعتقد بأنه سيتردد بفعل أي شي من اجل إبقاء الثروة لديه , حتى لو كلفه ذلك أن يلجأ لقتل من سيواجهه ! .....

سامر : طه , أتعلم بأن السيد حاتم قد سألني ذات يوم إن كنت أعرفك أم لا ؟

طه باستغراب : وماذا أجبته ؟

سامر : لقد رأيت منه نظرات يصعب عليَّ تفسيرها فالحق أقول كانت نظراته غريبة ولا توحي بنظرات سلام أبداً , فخشيت أن أُطرد من عملي , و من اجل أن أُحافظ على عملي ولا أُطرد منه أجبته بأني لا اعرف أحداً بهذا الاسم مطلقاً , وحالما سمع مني ذلك إذ أحسست بأنه اطمأن تجاهي من جديد .

ياسين : ولكن لماذا سألك أنت بالذات عن طه ؟ فقد أخبرتني سابقاً بأن عدد العاملين في القصر نحو العشرون عاملاً , فلمَ سألك أنت بالذات ؟

سامر : في الحقيقة لا اعلم .

طه وقد وضع يداه على رأسه وانحناء رأسه للأرض وقال بعد أن زفر بحزن : إن الأمر صعب , صعبٌ جداً , لا يهمني الإرث الذي تركه والدي , المهم هي ميار تلك المسكينة قد تقتل نفسها إن أُجبرت على الزواج من ابن صديق والدها .

ياسين : صعبٌ صحيح , ولكنه ليس مستحيلاً يا عزيزي طه . ولا اعتقد بأنه أكثر صعوبة من اقتحام المخفر . ولكن اخبرني من الذي اخبر والدتك بأن عمك حاتم يريد إجبار ابنته بالزواج لأحد أصدقائه ؟

طه : هناك سيدة تدعى صفية كبيرة الخدم والعاملين في قصر حاتم هي من أخبرت أمي بذلك و بطلب من السيدة سمار زوجة حاتم .

شبر : هذا يعني أن السيدة سمار معارضة لرأي حاتم , أليس كذلك ؟

طه : نعم , معارضة لرأي حاتم . حيث أخبرتنا بأنها ليست راضية عما فعل حاتم بأخذه لثروة والدي منا . فهي التي قامت بشراء المنزل الذي نعيش فيه أنا ووالدتي الآن لنا , ولكن إن علم حاتم بالأمر فحتما لن يتردد بإيذائها .

ياسين : لقد اخبرني شبر بأنك تلتقي بالآنسة ميار بين الحين والآخر , هل هذا صحيح ؟

طه واحمرار وجنتاه قليلاً : نعم , صحيح .

ياسين : إذاً عن إذنك يا طه ....ياسين لسامر : متى تذهب للعمل في القصر يا سامر ؟

سامر : غداً صباحاً .

ياسين : إذاً حاول أن تخبر ميار بأن طه ينتظرها في ليلة الغد في المكان المعتاد , واخبرها بأن أصدقاء طه سيجتمعون غداً معها كي يجدوا حلاً لقضيتهما , كي لا تصبها الرهبة إن رأتنا هناك مع طه .

ثم أعقب ياسين وقال : السيدة سمار والآنسة ميار وكبيرة الخدم صفية , أعتقد بأنها هي ووالدتها والسيدة صفية سيساعدننا بإعادة الإرث لك يا عزيزي طه.

طه : ولكن ما الذي تنوي أن تفعله يا عزيزي ياسين .

ياسين : في ليلة الغد سنحاول أن نخطط من اجل قضيتك والأفضل أن يكون ذلك بوجود الآنسة ميار كونها داخل القصر . والآن يا أصدقاء سيكون اجتماعنا في ليلة الغد .

يبدُ أن هناك مهمة أخرى تنتظر الأصدقاء , مهمة ليست بالسهلة عليهم وقد تكون اكبر من مهمة اقتحام المخفر , ولكن ليس من العدل أن يأخذ حاتم أملاك

أخيه عابد فالأملاك يجب أن يقبضها طه ووالدته فهي من حقهم هم فقط , فحاتم قد أصيب بداء حب الثراء و هذا الداء يجعل من صاحبه طماعاً جشعاً , فهو مستعد أن يؤذي اقرب الناس إليه من اجل أمواله , لذا فخلف كواليس هذه المهمة تكمن مسألة حياة أو موت , ... ياسين وهو في طريقه إلى منزله بعد أن وقع ظلام الليل . وإذا بشخص يناديه من خلفه : توقف .

ياسين يلتفت إلى من كان يطلب منه التوقف حيث قال بعد أن عرف مصدر الصوت الذي لا يبدوا غريبا عليه , حيث قال بابتسام : من الأسود ؟! أهلاً بك , هل استطيع مساعدتك بشيء ؟

الأسود : نعم تستطيع مساعدتي يا ياسين .....حيث قال الأسود وقد اسند ظهره على احد جدران المنازل التي كانت هناك : هل تذكر عندما قلت لي تلك النجوم التي في السماء حتى لو اختفت يوما عن الوجود فستترك خلفها أثرا ليذكَّر الخلائق بها , ولا اعتقد أنك عاجز عن هذا ؟ .....ما كان قصدك بذلك الكلام الذي اثأر فضولي ؟

ياسين وقد أدار للأسود ظهره ليكمل الطريق لمنزله : ساترك لك هذا الأمر يا عزيزي فالأفضل أن تكتشفه بنفسك .... والآن إلى اللقاء .

الأسود وبتجهم بعد أن اعتدل بوقوفه : ياسين , صدقني عندما قلت لي ذلك الكلام لم أنم ليلتها , ولم يدخل فمي أي طعام في اليوم الذي تلاها , وتريد مني أن اعرف بنفسي ما كنت تقصد؟! لا تذهب أخبرني أرجوك .

ياسين : هل أنت مصر بأن تعرف ما كان مقصدي من كلامي ؟

الأسود بعد أن هدأ : أكثر مما تتخيل .

ياسين وقد اقترب من الأسود حتى أصبحت المسافة بينه وبين الأسود بمقدار شبر واحد فقط , وركز كل نظره في عينيّ الأسود ثم أغمض عينيه وابتسم وأشبك يديه إلى صدره واسند ظهره إلى جدار كان بالقرب منه ...ثم قال بعد أن فتح عينيه : عزيزي يا اسود إن الإنسان وكما تعلم مقبل على شيء لا بد منه وهو الموت . فالموت هو الملاذ الوحيد لحياة الإنسان شاء أم أبى ذلك , والقبر هو ملاذ أجسادنا , وعالم الآخرة هو ملاذ أرواحنا . ولكن السؤال هو هل هذه هي نهاية الإنسان ؟.....بالطبع لا , هناك شيء سيبقي الإنسان حياً وإن أخذ الموت حياته أو أخذ التراب جسده أو أخذت الآخرة روحه وهو الفكر والعمل وكل ذلك مرتبط بأعماله الصالحة , كل ذلك سيجعل من الإنسان خالداً , حتى لو أن الموت قد سلب حياته بسبب الأعمال الصالحة . ولكن هناك ما سينقل الإنسان إلى عالم النسيان وهي أعماله الطالحة . فالإنسان يا عزيزي الأسود اكبر همة من تلك النجوم التي ستترك خلفها أثراً بعد أن تختفي فهل تعجز أن تترك أثراً يذكر الأحياء بك ؟ لذا كف عن إيذاء الناس وأصلح الأخطاء التي ارتكبتها في ماضيك , ولتبدأ بداية جديدة , واجعل هدفك هو فعل ما سيجعل من ذِكرك ضمن دائرة الخلود ..... هذا ما كنت اقصده يا عزيزي الأسود .

الأسود في قرارة نفسه : من يكون هذا الشخص ؟! ولماذا اشعر بأني ضعيف للغاية ؟ أنا زعيم اكبر عصابة في هذه المدينة , لماذا أبدُ ضعيف جداً أمام هذا الشخص ؟ أنا قد قمت بقهر كل العصابات التي في هذه المدينة , أنا قد ترأست عصابة تكوّن عدد أفرادها من خمسمائة شخص . وقد عُدَّت من اكبر واخطر العصابات وكل من يسمع بها يرتعد لما لها من شراسة . وقد عُدَّ زعيمها الأقوى في هذه المدينة . فلماذا ؟ لماذا أبدُ ضعيفاً أمام هذا الشخص؟ .....
رحل الأسود من دون أي كلام , فقال ياسين : يا أسود ..... بعد أن توقف الأسود كالمصدوم من شيء قد أصابه ..... أردف ياسين وقال : أنا وأنت سنصبح أصدقاء ذات يوم ..... أكمل الأسود طريقه , وهو يجر بنفسه وكأنه قد خرج من معركة خاسرة .....فقال : لماذا اشعر بأني قد هزمت شر هزيمة ؟ أنا الأسود الذي لا يقهر, هزمتني بضع كلمات من ذلك الشخص!
.....

ياسين بعد أن أكمل طريقه : من مراد ! أهلا بك يا عزيزي , كيف حالك .

مراد حيث كان يحمل معه كيس من الخبز وهو في طريقه إلى منزله : ياسين, هل كان ذلك الأسود ؟ وما الذي كان يفعله هنا معك ؟

ياسين بابتسام : لا , لا شيء يا عزيزي , فقط أخبرته بأننا سنكون أصدقاء ذات يوم , وأنا متأكد بان الأسود سيكون مختلفا عما كان عليه .....

(17)

عهد الأصدقاء

في الحديقة العامة وتحت ستار الليل الذي كسر ظلامه ضوء القمر ببدرة المتوهج اجتمع الأصدقاء على مقاعد الحديقة ..... وبعد أن كان ياسين جالساً نهض واقفاً لينهض الجميع معه , ليرحب بـ(طه) الذي احظر ميار ابنة عمه التي كانت تسير على استحياء من ذلك الجمع الذي كان هناك فقال ياسين : أهلا بأخينا طه , وكذلك أهلا بأختنا والآنسة ميار .

طه : ميار هؤلاء هم أصدقائي الذين لطالما حدثتكِ عنهم , وهذا هو ياسين قائد مجموعتنا .

ميار ومحنية الرأس وقد علا الخجل وجهها : السلام عليكم .

الجميع : وعليكم السلام .... فأعقب ياسين قائلا : أهلا بكما , تفضلا بالجلوس .

ميار بعد أن جلست : ألست أنت سامر الذي يعمل في ذلك القصر اللعين؟

سامر بابتسام : نعم يا آنسة هذا أنا .

ميار بابتسام : يبدُ أن أصدقائك ليسوا من النوع السهل يا طه .

أعقبها الجميع بضحكة خفيفة .....فأعقب ياسين : حسنا يا اختنا ميار , كيف استطعتي أن تفكري بالوقوف إلى جانبنا ضد والدك من اجل استرداد كل الحقوق التي سلبها من طه , هل يهون عليك ذلك ؟ فالسيد حاتم والدتك في نهاية الأمر .

ميار : اسمعني يا سيد ياسين , لو كان والدي رجلا طيبا ولم يقدم على فعل شيء سيئ , فلن اسمح لأي احد بأن يقترب منه بسوء , ولكن أبي قد ظلم أخيه والد طه وعمي عابد رحمه الله , عندما أأتمنه عمي عابد على عائلته , وأبي بدوره قام بخيانته ولم يصن أمانة عمي عابد . وليس هذا فقط بل سلب كل حقوق طه ووالدته, وجعلهما يعيشان كالغرباء في هذه الدنيا , وقد هان عليه حالة ابن أخيه طه ووالدته . بل وأنا على يقين بأن يده ذات يوم ستمتد من اجل إيذاء والدتي وأنا أيضاً , بسبب طمعه وحبه المفرط للمال والثراء . بل وقد هان عليه أن يزوجني من شخص أنا لا اعرفه بل ولم يأخذ رأيي حتى .

ياسين : وهل ستساعدينا يا آنسة ؟

ميار : من اجل أن احمي طه ووالدته وبل ومن اجل أن احمي أبي من إيذاء نفسه أيضاً , نعم سأساعدكم .

ياسين : أصغوا إلي جيدا يا أصدقاء لو سمحتم , لا أُخفي عليكم فإن هذه المهمة معقدة كثيرا و نسبة نجاحها قليلة جدا . والأسوأ من ذلك فقد تكون فيها مسألة حياة أو موت لأن السيد حاتم قد لا يتردد بإيذاء أي احد يشكل تهديدا لثروته . فهل انتم مستعدون للمخاطرة بحياتكم ؟

الجميع كعادتهم بالإيجاب قد أجاب .... فأعقبت ميار : ولكن , كيف تطاوعكم أنفسكم للخوض بمثل هكذا مهمة خطرة ؟! ألا تخافون على حياتكم؟! أبي قد لا يتردد بإيذائكم إذا ..... يقاطعها نجاح : لا يا آنسة لن نترك أخينا طه وحده, فقد تعاهدنا على أن نتعاون جميعنا في السراء والضراء , و أن نكون سندا لبعضنا البعض ..... يعقبه شبر : هذا عهد الأصدقاء ولن نتراجع عنه.

طه : شكرا لكم . سأضل مدينا..... يقاطعه سامر : لا يا عزيزي طه لا تكمل أرجوك , فقد خاطرتَ بنفسك من اجل إخراجي من السجن , ألا تذكر .

يعقبه شبير : وقد خاطرت بنفسك أيضا من اجل إخراج والدي من السجن بعد أن أثبتنا جميعا براءته .

طه : لقد كان واجبي .

يعقبه ياسين : هذه المهمة لن يشترك فيها الإخوة , أي أن مراد و شبر لن يشتركا فيها .

ينتفض عليه مراد بعد أن نهض واقفا وبتجهم أبدا اعتراضه : هل استصغرني يا ياسين ؟!

زهير : لا يا عزيزي مراد فهذه مهمة خطرة , وقد .....يقاطعه مراد : وقد ماذا يا زهير ؟ وقد ماذا ؟

نعيم : وقد لا نعود منها أحياء يا مراد .

ياسين : على الأقل يجب أن تكون إلى جانب والدتك .

فارس : الدليل على أن ياسين لم يستصغرك هو أنني بمثل عمرك تماماً , وقد أعفاك من هذه المهمة بسبب أن والدتك قد لا يبقى لها احد .

ياسين بابتسامة مصطنعة : عزيزي مراد أرجوك تفهم موقفنا .....يقاطعه مراد : ولكننا قد تعاهدنا أن نتكاتف جميعا يا ياسين , فأين ذلك العهد ؟!

ياسين : من اجل ولدتك يا عزيزي , فقد لا نعود من هذه المهمة أحياء !.....ثم أردف وقال : لقد كان لشبر الفضل الأكبر في مهامنا السابقة , وأرجو منه أن لا يعد هذا استضعافاً له بسبب حالته .

شبر وبابتسامة مصطنعة : لا يا صديقي لا تفكر هكذا , يحزنني أني لن أشارك بهذه المهمة , ولكن أنا أثق بأخي شبير فهو سينوب عني .

ميار والدموع بانت معالمها : انتم , انتم شجعان حقاً هذه هي الصداقة و إلا فلا .

مراد وقد ازداد غضبا : ولكن يا ياسين ..... يقاطعه ياسين : مراد أرجوك تفهم موقفنا , أرجوك , مازلنا على عهدنا ووعدنا , ولكن يكفي أن أخيك سامر سيشاركنا في هذه المهمة .

طه : شكر الله سيعك يا مراد . ولكن ..... يقاطعه مراد أيضا : ولكن.....فأعقبه سامر بعد أن وضع كف يده على كتف مراد : أخي مراد لا نعرف هل سنعود من هذه المهمة سالمين أم لا . لذا أرجو منك أن تصغي لنا جيدا ولا تعترض على رأي ياسين أبداً , فقد أصاب بأن لا يشرك الإخوة في هذه المهمة , وأرجو منك يا عزيزي أن تهتم بأمي يا أخي .

ينصرف مراد بغضبٍ تسبب بجريان دموعه مسرعاً خارج الحديقة.....فأعقب ياسين قائلا : أرجو من الله أن يوفقنا ويكتب لمهمتنا النجاح الساحق , والآن يا أصدقاء , فكما أخبرتكم فإن هذا المهمة معقدة كثيرا , فلا اعلم كيفية التخطيط لها غير أن سامر يجب أن يحاول إدخالنا إلى داخل القصر أثناء حفلة خطوبة الآنسة ميار كونك يا سامر أحد العاملين هناك . ... وأنتِ يا آنسة ميار .

ميار : نعم يا سيد ياسين , تفضل .

ياسين : هل يمكنك أن تطلبي من الدك أن يوفر الأقنعة لكل المدعون ؟ فهكذا سيسهل الأمر لنا , وكي لا يتعرف والدكِ على طه ولا على عاملين غرباء لأننا سنتنكر أيضا , ولا تنسوا فأن الأثرياء سيرحبون بهذه الفكرة , أي ستكون

حفلة تنكرية من الطراز الأوربي . وهذه هي الخطة فقط , والآن فليودع كل منا الآخر ولتودعوا أهاليكم وداعاً قد تكون العودة إليهم بعدهُ مستحيلة . وليكن وداعكم لهم وداعاً مبهماً , أي لا تخبروهم بأنكم ماضون في هذه المهمة كي لا يعترضوا طريقكم . فالسيد حاتم ومرافقيه ليسوا وحدهم من سيتواجد في الحفل بل حتى مرافقي السيد سليم وابنه السيد سلام . إذاً فمهمتنا ليست بالسهلة يا إخوتي وأحبتي . فهدفنا هي الأوراق المزورة التي ستؤدي بالسيد حاتم إلى السجن.....

الجميع باندهاش : أوراق مزورة ؟!! ..... فأعقب طه : ماذا تقصد يا ياسين؟ اخبرني أرجوك .

ياسين : عزيزي طه إن والدك رحمه الله قد ترك خلفه ثروة كبيرة من المحتمل انه قد ترك وصية بيّن من خلالها انك أنت ووالدتك سترثان كل أملاكه , فكيف استطاع حاتم أن يأخذ كل الأملاك من دون تزوير أوراق الملكية , فمن المحتمل أن يكون السد حاتم قد زور كل الأوراق , إذاً وأرجو المعذرة من الآنسة ميار فالسيد حاتم مجرم تزوير ! و إذا استطعنا غدا أن نأخذ الأوراق فسنكشفه للعدالة كي تأخذ مجراها بحق السيد حاتم ..... ولكن قد يكون السيد حاتم لعب اللعبة بشكل جيد ولم يزور تلك الأوراق بطريقة ما, لذلك فاحتمالية أن السيد حاتم قد زور الأوراق ستكون احتمالية لا بأس بها , ولكنه مجرد احتمال في نهاية الأمر .

طه : ولكن لمَ لم تخبرني بهذا الأمر من قبل ؟

ياسين : لم أرد منك أن تتأمل شيئا قد لا يكون له وجود , فيخيب أملك .

ميار وكأنها تذكرت أمراً مهماً ومريباً : ترى ألهذا الأمر قد منع أبي كل من في القصر أن يدخل لغرفته الخاصة ؟ لقد حذر حتى والدتي وأنا أيضا من الاقتراب من غرفة خاصة في القصر تخصه جداً لدرجة انه لم يسمح حتى للخدم بان يقتربوا منها لتنظيفها !

ياسين : إذاً فنسبة انه قد زور أوراق الملكية كبيرة جداً .

ميار : هب أن والدي لم يزور الأوراق , ماذا بعد ذلك ؟

ياسين : سنهربكما أنتِ وطه , إلى ابعد ما يمكن حتى لا تصل يد والدكِ لكما, وستتزوجان هناك , وسأجعل طه مدير أعمالي في المكان الذي سأأخذكما إليه هناك , حتى تعيشان بحريتكما .... وهذا آخر الحلول صدقاني , ولكن سيكون كل ذلك إن بقينا أحياء .

ميار : إذن سنهرب أنا وطه في الحال فلن اسمح لكم بالمخاطرة بحياتكم من اجل مهمة الخروج منها أحياءاً شبه مستحيل .

ياسين : اسمعيني يا آنسة ميار , لقد قررنا هذا وانتهى الأمر , ولا مجال فيه للنقاش أو العدول عن هذه المهمة .

طه وقد زفر بحزن : يا الهي قد لا نخرج منها أحياءاً , وإذا خرجنا منها بسلام فسأعيش بقية حياتي هارباً .

ياسين : لم يبقى لنا سوى أمل واحد , وهو أرجو أن يكون السيد حاتم قد زور أوراق الملكية فعلاً..... والآن يا أصدقاء لنقف جميعاً ولنؤدي معاً العهد الذي اعتدنا عليه , عهد الأصدقاء , العهد الذي ربما..... ربما سيكون الأخير .

وقف الجميع وصنعوا مع شبر وعربته حلقة ووضع كل منهم يده على يد ياسين الذي خطب فيهم : غداً لا نعلم أنعود جميعنا ؟ أم بعضنا ؟ وقد لا يعود احد منا . لهذا وِجدَت كلمة الصداقة , فالصداقة هي الحياة . الصداقة هي الشمس الدافئة في شتاء لا يرحم برده , الصداقة هي الكنز الذي كان يبحث عنه الخيميائي , الصداقة هي مياه الظمآن , بل هي الهواء الذي عطش دم الغريق إليه .

هتف الجميع وجرت دموع ميار وبكى شبر أيضا وتعانق الجميع عناق الوداع . تشهد فيهم ياسين ومع صوت ميار الباكية كأن أشجار الحديقة بكت معهما لموقفهم الصعب والمحيّر . هبت رياح حركت أشجار الحديقة التي كانت هناك , كأنها تريد أن تقول (لا ترحوا , فما زلتم في ريعان شبابكم , فمن لآمالكم وأحلامكم التي قد تبقى وحيدة بدونكم) ..... فرد عليها ياسين قائلاً (الصداقة هي منتهى آمالنا , وترابط قلوبنا هو منتهى أحلامنا) كأن مقاعد الحديقة قالت لهم (أرجوكم اجلسوا , لا ترحلوا , وابقوا ها هنا) وكأن ياسين رد عليها وقال (من المعيب أن ننقض عهد الأصدقاء , هذا العهد الذي بسببه ما زالت كلمة الصداقة أحلى من العسل) , كأن أزهار الحديقة المتواجدة هناك بكت أيضاً وقالت (لا , لا ترحلوا فعطري يتغنى بعطر آصرتكم , وانسجامكم , فبرحيلكم

ستذبل بتلاتي) كأن ياسين رد عليها أيضاً وقال (عهد الأصدقاء قسمنا , ووعدنا حق علينا الإيفاء به) . تعانق ياسين وشبر , والمسكينان لا يعلمان بأنها اخوين فرقهم القدر وجمعهم من حيث لا يعلمون ..... ذهب الأصدقاء جميعاً ولم يبقى في الحديقة أحد , كأن تواجدهم كان خيالاً , أو كأن تواجدهم كان مجرد وهم لا وجود له . هدأت الحديقة هدوءا غريباً , خيم عليها السكون ولا شك بأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة .....

(18)

لكل تمرد نهاية .....وقد وصلت لنهاية تمردك

أحد حراس بوابة قصر السيد حاتم : ألست أنت سامر ؟

سامر ومعه عربة مزينة بالإزهار تجرها فرس بيضاء : نعم أيها الحارس هذا أنا وقد أمرني السيد حاتم بنقل هذه الهدايا إلى الداخل , وهؤلاء سيساعدوننا بتنظيم الحفل , وأرجو منك أن تسمح لنا بالدخول .

الحارس وقد فتح البوابة : بالطبع , بالطبع تفضلوا ..... تفضلوا .

دخل سامر الذي كان يجلس بالقرب من ياسين الذي كان يقود العربة الممتلئة بالعلب الكبيرة والمزينة والفارغة !..... وكان الأصدقاء يسيرون خلف العربة , وكانوا جميعا بزي الخدم مرتدين الأقنعة الخاصة بالحفل , حيث أن الأقنعة كانت بأمر من السيد حاتم وبطلبٍ من السيدة سمار وإصرار الآنسة ميار. أي أن الأصدقاء قد استطاعوا التسلل إلى داخل القصر .

آدم : انظروا إلى هذه الحديقة ما أكبرها وأجملها وأبهاها !

زهير : إن المحزن في الأمر , هو أن هذه الحديقة هي ملك لصديقنا طه وللأسف الشديد هي ليست من نصيبه في الوقت الحالي .

نعيم : أنت قلتها , في الوقت الحالي , وستكون من نصيبه إذا كتب لنا التوفيق في مهمتنا .

طه : شكرا لكم يا أعزائي .

نجاح : انظروا إلى طيور الزينة والى هذا النهر الجاري وأسماكه زاهية الألوان !..... يقاطعه سامر : لم تروا شيئاً بعد .

بعد أن دخلوا إلى القصر , حيث قاعة الحفل والحضور الكثير من الأثرياء والأغنياء حيث كانت أصوات الثرثرة والقهقهة هي السائدة في حفل الخطوبة ذاك , حيث إن قاعة الحفل كانت ذات زينة لا توصف .

فارس بهمس إلى الأصدقاء : انظروا إلى تلك المائدة , صدقوني لا اعرف أسماء بعض أصناف الطعام المتواجد عليها , انظروا إلى كل تلك الألوان والأشكال من الطعام والحلوى والشراب .

زهير بهمس وتجهم : لا تلفت الأنظار ألينا أيها الأحمق وإلا سُنفضح .

فارس بحماس : شكرا للسيد حاتم على هذه الدعوة التي لن أنساها ما حييت أبدا .....نجاح : يبدو أن فارس سيصاب بالإغماء بسبب اندهاشه المفرط.

زهير بهمس هو الآخر : انظروا إلى كل هؤلاء الضيوف , انظروا إلى ملابسهم التي تدل على ثرائهم الفاحش .

سامر : ياسين , ها قد استطعت إدخالكم إلى القصر , وماذا الآن ؟

ياسين بهمس : علينا إبعاد بعض الخدم المتواجدين هنا لتحلِّوا محلهم , اذهب واخبر السيدة سمار بهذا , واطلب منها أن تبعد عدد من الخدم مكافئ لعددكم لتحلوا محلهم , وسنذهب أنا وطه إلى الغرفة الخاصة بالسيد حاتم , لنفتش ونرى في ما إذا كانت هناك أوراق مزورة .

طه بهمس أيضا : اعتقد أن تلك هي السيدة سمار صاحبة القناع الأسود .

سامر : نعم إنها هي , واعتقد أنها في انتظارنا الآن ..... ومن بين كل الضيوف استطاع سامر أن يصل إلى الآنسة سمار التي كانت تنتظرهم قرب الباب الداخلي للقصر : سيدتي .

سمار : سامر ! هذا أنت ؟ لقد أخبرتني ميار بأنكم ..... يقاطعها سامر : نعم يا سيدتي , ولكن ليس هنا , علينا أن نتكلم بعيدا عن أنظار الضيوف وخاصة السيد حاتم كي لا يُكشف أمرنا .

سامر بصوت مرتفع إلى أصدقائه المتنكرين : انتم أيها الخدم احظروا صناديق الهدايا الخاصة بالآنسة ميار , واتبعوني إلى الأعلى .

السيد حاتم وقد نادى لـ(طه) المتنكر بزي الخدم والذي كان يرتدي قناعا خاصاً بالحفل فجهل السيد حاتم من يكون , حيث نادى السيد حاتم طه المتنكر: أنت هناك , أيها الخادم تعال إلى هنا .....هنا هدئت الأجراس وانقطعت الأنفاس .... أصبحت ضربات قلوب الأصدقاء أسرع من المعتاد , مد ياسين يده إلى خاصرته وتحديدا إلى سكين قد احضرها معه . وتهيئ للهجوم في حال خرجت الأمور عن مسارها المخطط لها . لم يرد طه لنداء السيد حاتم فقال السيد حاتم مجددا : أنت أيها الخادم , ما بك ؟ الم تسمع ؟ ..... جميع الضيوف صرفوا أنظارهم إلى ذلك المشهد الذي يحبس الأنفاس بالنسبة إلى الأصدقاء . فأعقب السيد حاتم : تعال وناولني شرابا من تلك الطاولة .

طه وقد انطلق مسرعا إلى طاولة الطعام ليحظر شرابا للسيد حاتم , ولكن كانت كل تصرفاته لا تمت لتصرفات الخادم الحقيقي بأي صلة , مما أثار استغراب السيد حاتم وكذلك كل المدعوين للحفل , حيث كانت يداه ترتجفان من شدة توتره : تفضل .

حاتم : اخلع قناعك .

سامر يتدخل : أرجو المعذرة سيدي , فهذا الخادم جديد هنا , ولا يعرف كيف يتصرف , وكذلك.....فكرر السيد حاتم كلامه ونظرات عينيه قد زادت حدة : قلت لك اخلع قناعك .

ياسين بهمس : اسمعوني يا أصدقاء في حال خرجت الأمور عن مسارها أنا سأحاول أن آخذ السيد حاتم كرهينة أما انتم فابتعدوا عن هذا المكان بسرعة .

آدم : لا , بل سنبقى معك لن ندعك تخاطر بحياتك وحدك .

نجاح : جميعنا سنهجم يا ياسين .

احد حراس بوابة القصر مسرعا وبصوت منخفض : سيدي لقد وصل السيد سليم مع ابنه السيد سلام .

سمار : عزيزي اذهب ورحب بهم بسرعة , لا يجب أن تتأخر عنهم .

حاتم : حسنا سأذهب للترحيب بهم .....حاتم وقد أعاد الشراب لـ(طه) : وأنت انصرف إلى عملك بسرعة .

سامر : في خدمتك دائما سيدي .

نعيم بهمس : كاد أن يكشف أمرنا .

سامر : والآن انتم أيها الخدم أحضروا هدايا الآنسة ميار خلفي بسرعة .

عندما دخلوا إلى غرفة الآنسة ميار قد وجدوا بعض النسوة المشرفات على تزيين الآنسة ميار التي ترتدي فستاناً خاصاً بحفل الخطوبة . حيث كانت الآنسة ميار ذا وجه بائس بسبب أنها كانت مرتبكة من هذا اليوم وخوفها من أن لا يأتي طه , أو أنها كانت خائفة أن يكشف أمرهم عند قدومهم . حيث لم يبقى إلا بعض الإضافات الصغيرة لتصبح جاهزة للخروج إلى الضيوف في الحفل . وما أن دخل الأصدقاء و أزالوا الأقنعة عن وجوههم انبهر طه بجمال عروسته , ولم تأبه ميار إلى السيدات المشرفات على تزيينها وتجهيز فستانها الخاص بالحفل وانطلقت إلى طه مسرعة وعانقته بشدة , بل ولم تأبه إلى كل المتواجدين في غرفتها آنذاك , حيث اطرق الجميع برؤوسهم إلى الأرض .

ياسين : احم , احم ..... ميار بعد أن حررت طه من قبضة يديها , وبان الخجل على وجهها : أنا آسفة , لم أتمالك نفسي , فقد ضاق صدري وخفت ألا تأتوا وتنقذوني من جحيم اليوم , وما أن رأيت طه لم استطع السيطرة على نفسي , لذلك أرجو المعذرة حقاً .

ياسين : لا , لا عليكِ يا آنسة .... يهمس ياسين إلى السيدة سمار : أرجو منكِ يا سيدتي أن تُخرجي أولئك النسوة فلدي ما أخبرك به , ويجب أن تبقي معنا أنتِ والسيدة صفية والآنسة ميار .

سمار : أنتنَّ , أيتها السيدات , أتمنى أن تأخذن استراحة صغيرة في الغرفة المجاورة , ستأخذكم السيدة صفية إليها ..... سمار بهمس إلى صفية : خذيهن وتأكدي من أنهنَّ سيستقررنَّ في الغرفة المجاورة , وعودي بسرعة .

سمار وقد انتظرت حتى تخرج السيدات المشرفات على تجهيز فستان ميار وتزيينها , احتضنت طه ودموعها قد جرت على خديها : بني طه , لقد اشتقت إليك كثيرا , كيف حالك ؟

طه : أنا بخير يا عمتي , بخير ..... وبعد أن تحرر من احتضان السيدة سمار له : هؤلاء أصدقائي وهذا ياسين وهو كبيرنا وأرجو أن تستمعي لما سيقوله جيدا .

سمار : لقد أخبرتني ميار بكل شيء وأنا والسيدة صفية عند أوامرك يا سيد ياسين .

ياسين بعد أن دخلت السيدة صفية إلى غرفة الآنسة ميار : أولا أريد من السيدة صفية أن تسحب ستة من الخدم المتواجدين في قاعة الحفل , ليحل محلهم كل من نجاح وزهير وآدم ونعيم وشبير وفارس ليكونوا قريبين من السيد حاتم , وعليكم الاستعداد لأخذ السيد سليم والسيد حاتم كرهائن , إن أحسستم بأي خطر

أو رأيتم أن الخطة قد خرجت عن مسارها , أما أنا وطه سندخل إلى غرفة السيد حاتم لنفتش عن الأوراق المزورة في غرفته الخاصة التي حدثتنا عنها الآنسة ميار , أما أنتِ يا سيدتي سمار ومع الآنسة صفية حاولا أن تغطيا على كل شيء قد يكشف أمرنا .

سمار : سنبذل جهدنا .

ياسين : السيدة صفية هل يمكنكِ أن تأخذينا إلى غرفة السيد حاتم ؟

صفية : بالطبع , سأأخذكم إليها ..... ياسين : والآن يا إخوتي هيا انطلقوا إلى مهامكم .

بعد أن قامت السيدة صفية بوضع ستة من الأصدقاء محل ستة من الخدم الذين كانوا يخدمون الضيوف في الحفل , كان كل الأصدقاء مستعدين للانقضاض على السيد حاتم والسد سليم في حال داهمهم أي خطر . كان المكان يضج بالحضور , وتبادل الأحاديث وقهقهة الأثرياء والأغنياء .

سليم : حسنا يا سيد حاتم اعتقد أن الآنسة ميار قد تأخرت أليس كذلك ؟

حاتم وقد نظر إلى سلام مازحاً : أنا أريد من صهري سلام أن يتشوق قليلا لزوجته , فهذه اللحظات التي لديه الآن هي من أجمل اللحظات في عمره . أليس كذلك يا بني سلام ؟

لم يرد سلام واكتفى فقط بإحناء رأسه ..... فقال سليم مقهقهاً : كلامك عين الصواب يا سيد حاتم , و اعتقد أن ابني سلام لن يرد على كلامك , فالخجل يحول دون ذلك .

..... في الطابق العلوي وبخطوات سريعة صفية : حسناً يا سيد ياسين هذه هي غرفة السيد حاتم , ولكن اعتقد بأنها مقفلة .

ياسين : أنتِ اذهبِ الآن إلى عملكِ يا سيدة صفية , سنحاول أن نفتحها .

صفية بعد أن همت بالذهاب : أتمنى لكم النجاح بمهمتكما ..... يوقفها ياسين: توقفي لحظة من فضلك يا سيدتي .

صفية : ماذا هناك يا سيد ياسين ؟

ياسين : أرجو المعذرة , ولكن هل لديكِ مشبك شعر ؟

صفية : نعم , ولكن ما تريد أن تصنع به ؟

ياسين : سنحاول أن نفتح قفل الباب به , ولعلنا ننجح بهذا .

تخرج صفية إحدى المشابك المثبتة بشعرها : خذ تفضل ..... والآن هل تحتاج لشيء آخر .

ياسين بعد أن اخذ المشبك : شكرا لكِ , يمكنكِ الذهاب .

..... في الطابق السفلي في قاعة الحفل حيث الموسيقى وازدياد الضجيج في القاعة بسبب ثرثرة الحضور المستمرة مع قهقهتهم التي يريدون من خلالها أن يبينوا لعضهم البعض كم هم أثرياء , زهير بين الحاضرين في الحفل يهمس لنجاح : هل سمعت ما قاله حاتم ؟

نجاح بهمس : نعم , يريد أن يعطي بعض المزارع والمعامل والتي هي ملك لصديقنا المسكين طه ويحولها لسلام , كهدية له بمناسبة أن الأخير سيكون صهره بعد أيام قلائل وقد ذكرني هذا بوعد بلفور حقاً . ولكن والحق أقول نجوم السماء اقرب إليه من أن يتحقق ذلك .

فارس يتدخل بهمس أيضا وبحماس : انظرا , إلى تلك الفتاة الجالسة هناك , وانظرا إلى جمالها المبهر , والى ثرائها الفاحش .

نجاح : لا تفكر بالارتباط بها , فلو قمت ببيع اهلك فلن تستطيع أن تحصل على مهرها .

فارس وهو يسخر من كلام نجاح : كم أنت مضحك يا نجاح لحظة من فضلك لأموت من الضحك ..... أحمق .

زهير : أنا قلق حيال أمر ياسين و طه , ترى أين هما الآن .

آدم : أرجوكم حاولوا أن لا تجتمعوا بين الحين والآخر كي لا تثيروا الريبة عند السيد حاتم أو احد حراسة .

زهير : آدم ! لقد أتيت بوقتك يا صديقي , أنا قلق على ياسين وطه هل يمكنك أن تذهب إليهم بسرعة كي تأتي بخبرهما إلينا ؟

آدم : ولكن ..... نجاح لا تقلق سنحاول أن نسد النقص الحاصل بين الخدم المتواجدين هنا .

آدم : سأذهب , ولن أتأخر عليكم .

نعيم يتدخل فجأة أيضا : إن مراد هنا .

جميع الأصدقاء باندهاش فقال زهير : ولكن ألم نطلب منه أن لا يأتي معنا بهذا المهمة الخطرة ؟

نجاح : و أين هو الآن ؟

نعيم : شبير يحاول إقناعه بان يذهب من هنا ولا اعتقد أنه سيفلح بذلك , فقد كان مراد مصرا بأن يخوض معنا غمار وخطورة هذه المهمة .

نجاح وقد رأى سامر يومئ إليه بشيء : إن سامر يطلب منا أن لا نجتمع كي لا نثير أي شكوك .

.....في الطابق العلوي وبعد محاولات متبادلة بين ياسين و طه لفتح باب غرفة السيد حاتم , حتى استطاع طه أخيراً فتح باب غرفة السيد حاتم الخاصة بمشبك الشعر الذي أخذاه من السيدة صفية , ياسين : يبدُ أن آدم قد جلب الخير معه , لذا فتح الباب لنا بقدومه .

آدم : لقد قلقنا عليكم .

طه : لا بأس يا عزيزي آدم , لقد فتح الباب بعد عناء طويل .

ياسين : كيف هي الأحوال في الحفل ؟ هل كل شيء على ما يرام ؟

آدم : كل شيء على ما يرام حتى الآن , وأتمنى أن تستمر الأحوال هكذا إلى أن ننجز مهمتنا على أتم وجه .

ياسين : نحن سندخل الآن إلى الغرفة كي نقلبها رأساً على عقب , حتى نجد الأوراق التي نبحث عنها .

آدم : رافقتكما السلامة , والآن أنا يجب أن اذهب إلى الحفل إلى اللقاء .

بعد أن دخل ياسين و طه إلى غرفة حاتم الخاصة , وجدا الغرفة ذات رفوف مصنوعة من الخشب ذو الجودة العالية , فضلا عن أن الغرفة كانت مرتبة ترتيبا جيدا , طه : والآن من أين سنبدأ البحث يا ياسين ؟

ياسين : أنت فتش في تلك الرفوف , وأنا سأذهب إلى الأخرى .

.....في الطابق الأرضي , في قاعة الحفل تنزل ميار بفستانها الوردي , بعد أن ألحت عليها والدتها وطلبت منها أن تصبر إلى أن ينجح طه وأصدقائه بمهمتهم الخطرة . حيَّ جميع الحاضرين في الحفل الآنسة ميار وابدوا إعجابهم بجمالها , تقدم إليها السيد سلام ولكنها تجاهلته واتجهت إلى مقعدها الخاص ..... فقال السيد سليم : يبدُ أن كنتي لم تتعرف على زوجها

بسبب قناعه . ..... ذهب السيد سلام ليجلس إلى جانب ميار فقال : كيف حالكِ يا آنسة ميار ؟.....وبعد أن تجاهلته ميار مجددا , صعق لذلك ولزم الصمت . فقال حاتم مخاطبا الفرقة الموسيقية : اعزفوا الموسيقى التي أعلمتكم بها..... لقد رأى السيد حاتم آدم وهو ينزل من الطابق العلوي , وقد راقبت عينا السيد حاتم آدم جيدا إلى أن انتهى به الأمر بين الحاضرين في الحفل , حيث ارتاب حيال خادم نزل من الطابق العلوي , وقد ازداد ريبة أكثر عندما رأى خمسة آخرون من الخدم وقد تجمهروا حول آدم , فذهب حاتم إلى حارسه الذي يثق به جيدا وهو كبير الحرس وطلب منه القدوم معه وقد صعد إلى الطابق العلوي خلسة كي لا يراه أحد , سار السيد حاتم وكبير الحرس بخطوات مسرعة إلى أن وصلا إلى غرفته الخاصة والتي قد فتحها أحدهم . حيث رأى ابن أخيه طه ومعه شخص آخر يفتشون بين الرفوف حيث أيقن السيد حاتم تماما أن طه يبحث عن الأوراق المزورة . عاد السيد حاتم مع حارسة إلى الحفل , حيث جمع عدد من الحراس مسلحين بمسدسات تحت ملابسهم . إلى أن قاموا بجمع كل الأصدقاء واحداً تلوا الآخر .

..... في غرفة حاتم الخاصة جدا , يفتش ياسين بين الرفوف: يا الهي أين خبأ حاتم تلك الأوراق ؟

طه : ترى هل خبأها في هذه الغرفة حقا ؟

ياسين : أنا متأكد من أنه قد خبأها هنا في مكان ما .

صوت غليظ وذو نبرة حادة من خلفهم : ارفعا أيديكما إلى الأعلى .

طه وقد استدار ليرى شخصا يحمل مسدساً وقد وجهه نحوهما تماماً : حاتم !

حاتم : لقد كنت ابحث عن حجة كي أقتلك من خلالها يا طه لأتخلص من القلق الذي تسببه لي كل يوم , واليوم ها قد عثرت عليها .

طه : أتيت لأخذ حقي وحق والدتي منك يا حاتم .

حاتم : ولكن هناك قانون يقول إن البقاء للأقوى , حتى لو كان هناك حقٌ قد سُلب منك , فيجب أن تأخذه بالقوة يا طه .

ياسين : بل إن البقاء للحق يا حاتم , إن قانون البقاء للأقوى مكانه هناك داخل الغابات , و بين الوحوش الضارية .

حاتم وما زال مسدسه موجه نحو ياسين و طه : اسكت أنت , لم أكلمك أيها اللص .

طه بغضب وبصوت مرتفع : بل أنت اللص يا حاتم , أنت الذي خنت أمانة والدي , وسرقت الإرث الذي تركه لي ولوالدتي , أنت اللص يا حاتم .

حاتم بصوت مرتفع وبغضب : أتريد مني أن اترك كل هذه الثروة بيد شخص مثلك , لا يعرف كيف يديرها . ثروة والدك تحتاج إلى من يجعلها تكبر شيئا فشيئا , تحتاج إلى من يستثمر أموالها , فأنت لا تملك أدنى خبرة لإدارة هذه الثروة .

ياسين : يبدُ انك مريض يا حاتم , ونقاش شخص مثل لا يجدي نفعاً .

حاتم مخاطبا الحرس : خذوهم إلى الفناء الخلفي واقتلوهم واحدا تلو الآخر , ولا تنسوا أن تقتلوا طه أولاً .

كبير الحرس : سيدي أحد حراس البوابة قال بأن هناك شخصاً يرتدي زي العاملين في القصر وقد قام بأخذ حصاناً من أحصنة القصر وخرج مسرعاً من القصر ولم يستطع الحراس اللحاق به .

حاتم : سنبحث في أمره فيما بعد .

تم تقييد يدا كل من ياسين و طه وتم إخراجهم من الباب الخلفي الداخلي للقصر , حيث وجدا كل الأصدقاء هناك مقيدي الأيدي أيضاً وحولهم رجال حاتم , فقال كبير الحراس باستخفاف : حسناً , من يريد أن يموت أولاً بعد طه ؟

ياسين : اسمعوني يا شباب , رغم أننا لم ننجح بمهمتنا , إلا أننا لم نخسر , فهذه الحبال التي سنموت ونحن مقيدين بها لهي شرف لنا لأننا أردنا أن نعيد الحق لأصحابه , فهذا الموت هو موت الشرف , ظاهره للعدو خسارة , وباطنه للحق انتصار . قد ظن حاتم أن هذه هي نهاية طه , ولكنه نسي أن هذه هي بداية طه . قد يقتلنا حاتم مرة واحدة هذا اليوم , ولكنه سيموت ألف مرة كل يوم , لذا فهل مازلتم على عهدكم ؟

الجميع : نحن على العهد .....فأعقب زهير : ياسين , نحن على العهد ولو قتلنا ألف مرة ..... فارس بل أن زهير يتكلم عنه نفسه يا ياسين وهو لا يمثلني .

الجميع باندهاش , فقال نعيم : فارس , ماذا تقول يا صديقي ؟

فارس : نعم , لقد قال زهير نحن على عهدنا ولو قتلنا ألف مرة , ولكن أنا مازلت على العهد ولو قتلوني مئة ألف مرة ..... أعقبه الجميع بالضحك ..... فقال كبير الحرس : العجب منكم , انتم على أبواب الموت وتضحكون !

ياسين : لسنا على أبواب الموت يا هذا , بل نحن عل أبواب الاستيقاظ , فبعد الموت ستبدأ حياتنا فعلا .

الحارس بصوت مرتفع : أجلسوا كل واحد منهم على ركبتيه واجعلوهم على خط واحد , وانتظروني حتى أعود لأرى ما رأي السيد حاتم الأخير بهم .

ياسين بهمس : يا أخوتي الأعزاء , لقد سمعت كبير الحرس قد قال لحاتم بأن أحد الأشخاص ذو زي كزي العاملين في القصر قد هرب من القصر ولم يستطع احد اللحاق به بعد أن اخذ حصانا من القصر , فهل لديكم علم بمن يكون ؟

الجميع وقد بانت على وجوههم الفرحة ....فقال نعيم : هذا رائع .

ياسين : هل تعرفون من يكون يا أصدقاء ؟

فارس : إنه مراد يا ياسين . لقد تسلل إلى القصر خلفنا , ومن دون علمنا أيضا.

..... داخل قاعة الحفل , سلام الجالس قرب ميار على نفس الطاولة المزينة بأجمل الزهور , وقد تكلم بعصبية بقرارة نفسه : مالِ هذه الفتاة تتجاهلني باستمرار !..... فقال لها : ميار هل أنت منزعجة من شيء ما ؟

اكتفت ميار بالصمت مجدداً , بل ولم تكترث له أبداً ..... إلى أن رأت صفية أتت نحوها مسرعة وشاحبة الوجه فهمست صفية بإذن ميار : آنستي إن السيد حاتم قد أمسك جميع أصدقاء السيد طه .

ميار وقد جذبت انتباه الحاضرين بصوتها المرتفع والذي ينم عن القلق والاندهاش : ماذا قلتِ يا صفية ؟ ..... وقفت ميار عندما رأت السيد حاتم قد دخل قاعة الحفل مجدداً , فقالت بصوت سمعه كل الحاضرين : ليشهد عليَّ كل الحاضر هنا , أنا أفضل أن أموت مئة ألف مرة على أن تزوج من سلام بن السيد سليم , وهذا قطعاً آخر كلام لدي . والآن فليتفضل كل من السيد سليم وابنه السيد سلام وليتفضلا بلا مطرود خارج القصر فلا حفل خطوبة ولا هم يحزنون .

اندهش كل الحاضرين مما سمعوه لتوهم وقاموا بنزع أقنعتهم وبدءوا بمراقبة ما سيجري من أحداث . صعق حاتم , وكان ينظر لميار وعيناه وفمه مفتوحان

بشكل اكبر من العادة لشدة اندهاشه وصدمته مما رأت عيناه وسمعت أُذناه . حيث تجمد بسبب المشهد المؤلم بالنسبة له والذي حدث أمام عينيه .....عندها قال سليم والذي قام برمي كأس العصير من يده نحو الأرض وأمام السيد حاتم : حاتم , هذه إهانة لي لا تغتفر , ولن أُمررها من دون حساب . هيا بنا يا سلام , فلا مكان لنا هنا , ولا يربطنا بحاتم شيء بعد الآن .....خرج الاثنان بعد أن قاما برمي أقنعتهما أمام حاتم .

حاتم : سليم , أُأكد لك إن الأمور قد خرجت عن سيطرتي , فما حدث أمامك الآن هو نتاج تهور ميار , وسأصلح الأمر أعدك بذلك .

خرج سليم مع ابنه سلام غاضبين , فالتفت حاتم إلى ميار بعينين غاضبتين , ووجه عابس , وقبضتا يديه ترتجفان بسبب شدة غضبه , عندها قال بعد أن أشار إلى ميار بسبابة يده : ستقتلين يا ميار , أعدكِ بذلك , ستسجنين بين أربعة جدران إلى أن تموتِ وحيدة ..... كانت ميار تقول بقرارة نفسها : ما هذا ؟ ينبغي أن يصبني الرعب من كلام والدي هذا , فلمَ لم اخف من تهديده ونظرات عينيه التي تنم عن غضبه الشديد حتى , أنا التي أخاف حتى من ضل أبي عندما يغضب , فلمَ لم اخف منه هذه المرة ؟! ..غريب ...غريب حقاً!

حاتم ينادي على حراسه : خذوا ميار اللعينة إلى غرفتها واحبسوها هناك واحرسوا غرفتها جيداً ولا تدعوها تخرج منها أبداً , وكذلك اخرجوا كل الحاضرين إلى هذا الحفل اللعين , فلقد انتهى الحفل بخسارة حاتم , نعم لقد انتهى الحفل بخسارة حاتم , خسارة لم تخطر على البال ولا على الخاطر .

كبير الحرس بهمس : سيدي , لقد جمعنا كل المتسللين إلى الحفل في الفناء الخلفي للقصر , ماذا تأمرنا أن نفعل بهم ؟

حاتم بهمس أيضا : اقتلوهم جميعاً , ولا تنسى أن تقتلوا طه أولاً , أولم أخبرك بقتلهم جميعاً أيها الأحمق .

كبير الحرس : نعم يا سيدي ولكن ظننت أن من الأفضل أن اخذ رأيك الأخير فيهم , حسنا , كما تريد يا سيدي .

بعد أن ذهب كبير الحرس , تقدم احد الحاضرين للسيد حاتم ليخفف عنه واسمه حسّان وهو المدير العام لشرطة المدينة : سيد حاتم أرجو أن تهدأ قليلا, فكل شيء يمكن إصلاحه في نهاية الأمر .

حاتم وقد جلس على إحدى مقاعد صالة الحفل : كيف أهدأ يا حسّان ؟ كيف أهدأ وابنتي قدمت لي إهانة ليس كمثلها إهانة .

..... في الفناء الخلفي , كبير الحرس : لقد جاء الأمر بقتلكم جميعاً , هيا استعدوا لوداع الدنيا .

ارتبك الجميع .....زهير : يا إلهي .

طه : أنا آسف يا أصدقاء فأنا من أقحمكم بهذا الأمر الخطير .

شبير : لا تقل هذا يا صديقي , فإن لم نساعد بعضنا البعض , فصداقتنا ليست صداقة حقيقة , فالصداقة الحقة قد وجدت لمثل هكذا مواقف .

ياسين : اسمعني يا هذا , ليس لحاتم الحق بأن يقتلنا . فما فعلناه هو من اجل أن نسترد حق صديقنا طه , وهذا لا يعطيكم الحق بقتلنا .

كبير الحرس : يبدُ أن هناك أحد ما قد خاف من الموت بعد أن قال إن حياتنا ستبدأ بموتنا .

ياسين : لا يا هذا , لست خائفاً , بل إن الذي يجب عليه أن يخاف هو أنت .

كبير الحرس : ولمَ يجب أن أخاف أنا ؟ ماذا تقصد بكلامك ؟

ياسين : أنظر حولك , كل هؤلاء الذين حولك من الحراس والذين يأتمرون بأمرك , ذات يوم قد يقتلك أحدهم أو بعض منهم إن لم يكن جميعهم بأمر من سيدك . فهذه هي الدنيا , فبعد أن يستغني السيد حاتم عن خدماتك , سيرسل أحد هؤلاء الرجال الذين معك لقتلك , ويحل محلك .

كبير الحرس بغضب وتوتر : أنت أيها الأحمق . لقد ثرثرت بما فيه الكفاية , وساعصي أوامر السيد حاتم هذه المرة , وسأقتلك قبل صديقك طه .

طه : أيها الحارس أرجوك لا تفعل واقتلني أنا أولاً .....ثم تبعه جميع الأصدقاء أيضاً , فقد كان كل منهم يريد أن يموت قبل الآخر , فملئت أصواتهم أرجاء الفناء الخلفي . إلى أن قاطعهم كبير الحرس برصاصة أطلقها في الهواء . كبير الحرس : ما هذا , ما هذا يا إلهي , أول مرة في حياتي أرى مجموعة من الفتيان كل واحد منهم يفضل الموت قبل الآخر .....فقام كبير الحرس

بتصويب مسدسه نحو رأس ياسين أولاً , حيث وضع فوهة مسدسه على جبين ياسين , وجميع الأصدقاء ينادون بصوت مرتفع وبعينين دامعتين : (ياسين) . فقال كبير الحرس بعد أن وضع مسدسه على جبين ياسين : إلى الوداع يا ..... لم يكمل كبير الحرس كلامه حتى سقط مسدسه من يده التي سالت منها الدماء . ثم التفت كبير الحرس إلى أعلى السور الذي يحيط بالقصر في فنائه الخلفي ليرى شخص ذو رداء اسود واقفا على السور بثبات وبيده مسدس قد خرج منه دخان الرصاصة التي أطلقها نحو يده , حيث كان كل سور القصر ممتلئ برجال توزعوا على جانبي صاحب الرداء الأسود . فقال كبير الحرس الذي أمسك يده التي تنزف دماً بيده الأخرى والسليمة ومحني الظهر بسبب شدة ألمه : من أنت يا هذا ؟

فقال ياسين بذهول وفرح : الأسود !

فصاح الأسود برجاله : هيا اهجموا عليهم ولا تتركوا أي احد منهم دون أن تطرحوه أرضاً , وإذا اضطررتم اقتلوهم جميعاً .....حدثت معركة بين رجال الأسود و بين رجال حاتم . ثم نزل مراد من أعلى سور القصر وأسرع ليفك وثاق جميع أصدقائه . ثم انضم الأصدقاء إلى المعركة التي انتهت بالقبض على جميع رجال حاتم وأسرهم جميعا .

ياسين بعد أن عانق مراد : كنت اعلم بأنك ستأتي .

طه : لهذا قمتَ بتأخير كبير الحرس من خلال إلهائه بالكلام الأخير الذي جرى بينك وبينه !

تقدمَ ياسين نحو الأسود بابتسامة ما أشرقها إلى أن أصبحت المسافة بينه وبين الأسود شبراً واحداً , فقال : هل تذكر عندما قلت لك أننا سنصبح أصدقاءاً ذات يوم ؟

الأسود : نعم أذكر ذلك , وتمنيت أن يأتي ذلك اليوم فعلا , وها قد أتى .

تعانق كل من ياسين والأسود حيث شعر الأخير بعد أن أغمض عينيه بروحية غريبة بهذا العناق , حيث علم أن سبب هذه الروحية هو أن مبدأ الإنسانية قد نبض بداخله , فقد كان قاسي القلب ولا يعرف شيئاً غير الحياة الإجرامية , أما الآن فقد تعلم من ياسين كيف سيكون إنساناً ويسخِّر حياته للإنسانية حيث قال ياسين : سيكون بيننا كلام طويل حديثه , والآن هناك ما عليَّ فعله .

الأسود : وما هو ؟

ياسين : يا أصدقاء هيا تعالوا معي , وكذلك أنت يا اسود .

ذهب الأسود برفقة الأصدقاء وقد دخل معهم بعض من رجال الأسود للحماية بأمر من الأسود . حيث دخلوا من الباب الخلفي للقصر الداخلي والذي يطل على الفناء الخلفي , يقاتلون كل من يعترض طريقهم من رجال حاتم . إلى أن استقروا عند الصالة الخاصة بالحفل . فصاح ياسين في كل الحاضرين الذين

كادوا أن يخرجوا من صالة الحفل : توقفوا لو سمحتم أيها السادة ..... بعد أن توقف كل الحاضرين , ووقف حاتم مندهشا , فقد ظن أن كبير حرسه قام بقتلهم جميعاً . قال ياسين : أيها السادة , هناك ما يجب أن تعرفوه , وهو أن حاتم هذا الذي أمامكم ليس أكثر من لص ..... عندما سمع الحاضرين هذا الكلام دار بينهم ضجيج كلام , وألف سؤال وسؤال, عن ما يقصده ذلك الشاب الذي طلب منهم التوقف هو نفسه (ياسين)..... استطرد ياسين ليكمل : لا اعلم من أين ابدأ الكلام , ولكن هل تعلمون لولا هذا الشهم الذي ربما جميعكم قد سمع عنه والذي يدعى الأسود قد أنقذنا من أن يقتلنا رجال حاتم في الفناء الخلفي لقصره ..... دار ضجيج آخر بين الحاضرين , ثم تقدم حسّان ليسأل حاتم : حاتم هل كلام ذلك الشاب صحيح ؟

اكتفى حاتم بالصمت لشدة اندهاشه وارتباكه وتوتره بل ولخوفه أيضاً..... فأكمل ياسين كلامه ليقول : ليس هذا فقط أيها السادة , هل تعلمون أن لحاتم أخا كان يدعى عابد أم لا ؟

حسّان : نعم يا بني نعلم هذا , وقد توفي منذُ زمن .

ياسين : ولكن أين ذهبت ثروة السيد عابد ؟ فكلكم تعلمون أن السيد عابد رحمه الله له ثروة كبيرة .

احد الحاضرين ويدعى هُمام : اعتقد أنها قد ذهبت إلى وزوجته وكذلك ولده الذي يدعى..... يدعى ..... ما كان اسمه يا ترى ؟

طه : يدعى طه , أليس كذلك يا سيدي ؟

هُمام : نعم , نعم يدعى طه ؟

طه : أنا هو طه بن السيد عابد .

تفاجئ الحضور جميعهم , ووجهوا نظراتهم الحادة إلى حاتم الذي بقي في حيرة من أمرة . .....ياسين : لا أيها , إن السيد حاتم قد قام بسرقة كل أملاك السيد عابد التي تركها لابنه طه وزوجته . ولم يبقي لهما أي شيء .

حاتم بغضب : لا , هذا كذب وافتراء , كل ما قالاه هذين الاثنين كذب .....يقاطعه حسّان : أرجو أن تهدأ يا سيد حاتم , وبصفتي المدير العام لشرطة هذه المدينة أريد أن افتح تحقيقاً بشان هذه القضية , والتحقيق قد بدأ الآن وهنا , فإن كان هذين الشابين كاذبين ويريدان الافتراء عليك سألقي القبض عليهما بعد أن ننهي التحقيق , فإذا كانا يفتريان عليك كما تقول فلا داعي للخوف أبدا .

بعد أن دار ضجيج آخر أيضا بين الحاضرين , بين مصدقا لما قاله ياسين و بين متردد لذلك : قال حسّان : ولكن لمَ كان السيد حاتم يريد قتلكم يا بني ؟ تكلم .

ياسين : لأن طه وأنا كنا نبحث عن أوراق مزورة في غرفة خاصة به , كنا نبحث عن تلك الأوراق الباطلة والتي تثبت أن الأملاك التي يمتلكها حاتم كلها ملك له وليس لـ(طه) .

حاتم بارتباك وتوتر : هل تريد أن تصدقهم يا حسّان وتكذبني ؟

حسّان : لا يا سيد حاتم , وضيفتي هي أن لا أكذب أي أحد لديه دليل يثبت صحة كلامه . ثم إذا كان هذين الشابين كاذبين , فممَ خوفك هذا ؟

طه : قبل أن وفات والدي رحمه الله , حول كل الأملاك التي يملكها باسمي وباسم والدتي . إذاً كيف استطاع حاتم أن يأخذ كل شيء من دون تزوير ؟

حسّان : ولكن هذا كلام خطير جداً يا بني , ثم هل لديكما دليل يثبت صحة ما تقولانه ؟ أجيبا لو سمحتما .

سمار وأثناء نزولها من الطابق العلوي وهي تحمل صندوقاً خشبيا صغيراً بين يديها : نعم يا سيد حسّان , هناك دليل قاطع لما قاله هذين الشابين .

بعد أن أصيب السيد حاتم بخيبة أمل كبيرة مما قالته السيدة سمار, وخصوصاً بعد أن رأى بين يديها صندوقا خشبياً قد تعرف عليه . قال حسّان بعد أن رفع نظره إلى الأعلى نحو سمار التي تنزل من الطابق العلوي عبر السلم : السيدة سمار ! وما هو الدليل يا سيدتي ؟

سمار : في هذا الصندوق ستجد كل الحقيقة التي تريدها , وما في داخل هذا الصندوق سينهي كل شيء , فهذا الصندوق كان في الغرفة الخاصة بالسيد حاتم , وقد منع كل شخص من الاقتراب من تلك الغرفة , حيث يحتوي هذا الصندوق على كل الأوراق المزورة والأوراق الحقيقية التي تثبت أن كل الأملاك التي يمتلكها حاتم هي بالأصل ملك لـ(طه) وكذلك والدته .

حسّان : هل هذا الصندوق لك يا سيد حاتم ؟

حاتم وقد اطرق برأسه , واكتفى بالصمت مجدداً .

عندما اخذ السيد حسّان الصندوق من سمار التي ناولته ذلك الصندوق , وذهب ليجلس على احد طاولات صالة الحفل .....حاتم وبنظراته المتوجهة إلى السيدة سمار , كأن نظراته تقول : لمَ فعلتي هذا يا سمار ؟

كانت سمار تنظر إليه بطرفي عينيها .....فقال السيد حسّان : سيد حاتم بصفتي المدير العام لشرطة هذه المدينة , فأنت متهم بقضية تزوير واختلاس أموال , وكذلك أنت متهم بمحاولة قتل , سيتم الكشف عنها بعد التحقيق . لذا أيها الحراس خذوا السيد حاتم إلى مخفر شرطة حي السلام كونه اقرب مخفر لنا . أما انتم أيها الشباب فستأتون معنا أيضا , لتُأخذ إفادتكم جميعا .

ياسين : سيدي رجال حاتم الذين أمرهم بقتلنا في الفناء الخلفي .

حسّان : حسب هذه الأوراق فإن نسبة تسعون بالمائة هي ملكٌ للسيد طه ووالدته . أما ما يملكه السيد حاتم هي نسبة عشرة بالمائة فقط . لذا فإن كل هذه الأملاك والتي نسبتها تسعون بالمائة ستعود للسيد طه ووالدته . وستساعدهما العدالة بإعادة كل أملاكهما .

تعانق كل من ياسين و طه عناق فرح بالانتصار الساحق , ذلك الانتصار الذي جاء بعد تنفيذ مهمة كانت نسبة النجاح فيها قليلة للغاية . وتبعه بعد ذلك كل الأصدقاء مباركين لـ(طه) بمناسبة استرجاع حقوقه .

مراد : ياسين , إن الأسود قد طلب مني أن أخبرك بأنه يريد لقائك في مكان تعارفكما غداً صباحاً . لقد سألته أي مكان يقصد بالضبط , فقال لي إن ياسين سيعرف المكان المقصود حالما تخبره .

بحث ياسين عن الأسود , ولكن لم يجد أي أثراً له . فكان يجب على الأسود أن يبتعد عن القصر بعد أن سمع بأن بين الحاضرين المدير العام لشرطة المدينة. حيث قال ياسين : شكرا لك يا أسود.....

(19)

فراق أم لقاء

قرب النهر الذي يشق المدينة إلى نصفين وتحديدا قرب المقهى وعند غروب الشمس , أي في المكان المعتاد اجتمع الأصدقاء واضعين أيديهم على يد ياسين الذي كان يخطب فيهم : ها نحن ومن جديد قد أثبتنا لبعضنا البعض بأننا أصدقاء أوفياء لبعضنا البعض حتى الموت . والآن أنا ادعوكم لحفل زفاف صديقنا طه الذي سيقام عما قريب .

بعد أن جلس جميع الأصدقاء .....قال فارس متسائلا : والآن يا طه اخبرنا , هل ستسكن في ذلك القصر أنت ووالدتك ؟

طه : لا يا عزيزي فارس , ذلك القصر قد سكن فيه حاتم وازداد شراسة وكبرياء وغرور , ولم يعد يرى غير المال , وحبه المفرط للثراء . لذا سأقوم بشراء منزل جديد لنا أنا ووالدتي لنسكن فيه .

زهير : أحقا ما تقول ؟ هل ستترك ذلك القصر الفخم وتلك الحديقة التي.....يقاطعه طه : ولمَ لا يا زهير ؟ لقد كانت ميار تحدثني باستمرار عن قصر والدها , كانت تقول إن القصر رغم اتساعه إلا انه كان ضيق بأهله , ورغم ثراء أهله إلا أنهم كانوا فقراء للسعادة الحقيقية , ورغم الإنارة التي كانت تنيره كان أظلم لروحية الحياة .

شبر : إن القرار لك يا عزيزي طه , وأنت حر في تصرفك .

نعيم : ياسين , لقد واعدك الأسود بالأمس عند انتهاء مهمتنا , بان تلتقيا صباح اليوم , هل التقيتما ؟

ياسين : نعم يا عزيزي , لقد التقينا .

نجاح : وما هدفه من ذلك اللقاء ؟

ياسين : لقد كان خيراً , لقد اخبرني بأنه سيسلم نفسه للعدالة بعد أن يقوم بإصلاح كل أخطائه الماضية , هكذا ستخف محاكمته وقد يتم الإفراج عنه بأشهر قليلة . فضلا عن انه سيحول عصابته إلى منظمة خيرية لمساعدة الفقراء .

شبير : أحقاً ما تقول ؟! الأسود قال هذا الكلام لك ؟!

ياسين : نعم , ولا تتفاجئ أبداً فالأسود قد أيقن إن الدنيا فانية والأعمال باقية, وما سيزرعه اليوم سيحصده غداً .

آدم : لو لم يتدخل الأسود ..... يصمت آدم لأنه لا يريد أن يكمل ما سيحدث لو لم يتدخل الأسود , حينما قدم كبير حرس حاتم ليقتل ياسين .

ياسين : الحمد لله , ولكن الفضل بذلك يعود لمراد أيضاً , فهو قد أصر إلا أن يشاركنا بمهمتنا , وتسلل إلى القصر واستطاع أن يمتطي حصانا من أحصنة القصر وانطلق بسرعة كبيرة لدرجة أن رجال حاتم لم يستطيعوا أن يلحقوا به . إلى استقر عند الأسود واعلمه بالأمر .

مراد : هذا واجبي يا أصدقاء .

سامر : أنا فخور بك يا أخي .

شبير : مراد اخبرنا كيف طاوعتك نفسك أن تذهب إلى الأسود , وضمنت أنه سيقدم لك المساعدة ؟

مراد : أنا نفسي لا أعلم يا عزيزي شبير , في الحقيقية قد توقف دماغي عن التفكير بسبب خوفي عليكم , ولكن ذات مرة قال لي ياسين بأن الأسود ذات يوم سيكون صديقاً لنا جميعاً , لذا عندما ذهبت إلى الأسود أعلمني احد رجاله انه ليس في مقره , ولكن ولحسن الحظ قد وصل عندما أخبرت احد رجاله أن ياسين في خطر وانه يحتاج للمساعدة الماسة والضرورية . فهرع بسرعة وصار وجهه شاحباً للغاية , حتى أنه قد اقسم أنه لو أصاب ياسين أي مكروه فسيهدم القصر على رأس من فيه ولن يبقي لحاتم أي باقية لقد كان هذا نص كلامه . ولم يهدأ له أي بال حتى وصلنا .

نعيم : هذا غريب فعلا , فالأسود عُرف عنه بأنه شخص شرير وليس بالسهل التعامل معه , كيف صار عنده عقل الرحمن .

ياسين : لا تتفاجئ يا عزيزي نعيم , فالجميع قابل للتغير , نعم سمعت مقولة نصها أن من شب على شيء شاب عليه , وبرأيي القاصر إن هذه المقولة ليست قاعدة ثابتة ولا تنطبق على كل خلق الله , فالإنسان إذا ما أردنا أن نغيره من السلبي إلى الايجابي لا تكفيه المواعظ أو أن نذكره بالجنة والنار , هذه المواعظ لا تكفي لتغييره , بل علينا دراسة دواخله قبل الشروع بعملية التغير.

سامر : ياسين , اذكر انك قلت للأسود أن يترك أثراً كالنجوم التي في السماء عندما أخرجنا ثقيل من السجن وسلمناه للأسود نفسه , هل كان لكلامك هذا مع الأسود أثراً بأن يتغير ؟

ياسين : لقد ذكرت الأسود فقط بأن الموت سيدركه مهما كانت عصابته كبيرة وقوية , فأراد إلا أن يتغير نحو الأفضل .....

أثناء اجتماع الأصدقاء لم تستطع السيدة رحيل أن تكتم الحقيقة أكثر . لأنها كانت تعتبر هذه الحقيقة وأقصد حقيقة أن ياسين هو نفسه إليا بن السيد عبد الرحمن والسيدة كوثر , فرحيل كانت تعتبر أن هذه الحقيقة هي أمانة لا بد من الإيفاء بها , إلا أن هذا الأمر قد يحزنها , قد يحزنها أن تفارق ياسين الذي ربته منذُ أن كان ابن أشهر معدودة وكأنه ابن بطنها . ومن جهة أخرى كانت تأمل منه أن يقبض إرثها فليس لها من يرث أملاكها . لذا بعد أن أذرفت الدموع قالت : بني ياسين أهذه محطة فراقنا ؟ فراق أم لقاء هذا يا عزيزي قلب رحيل , أنى لي أن أتخيل يوماً انك ستفارقني , والآن وبعد أن تفارقني سأستوحش دنياني , فيعز عليَّ أن أخبرك بأني لست الأم الحقيقية لك. ولكن هذا من حقك ويجب أن تعرف ذلك ودين عليَّ ..... بعد أن أكملت رحيل نحيبها واستجمعت قواها , انطلقت إلى بيت السيد عبد الرحمن والدنيا قد اسودت بعينها . وحالما وصلت إلى بيت السيد عبد الرحمن ترددت كثيراً فحنانها لـ(ياسين) يمنعها عن إخباره وإخبار عائلته الحقيقية بالحقيقة من جهة . وحبها

لـ(ياسين) كان يدفعها للعكس من جهة أخرى . ..... رحيل بعد أن دخلت لمتجر الخبز وبصوت يحمل الهم والحزن : كيف حالكِ يا عزيزتي كوثر .

كوثر بعد أن تركت تجهيز الخبز ووضعه داخل أكياس خاصة به وبعد أن استدارت لترى السيدة : السيدة رحيل ! أهلا بك يا عزيزتي , كيف حالك ؟ .

رحيل : هل كل عالتك في البيت ؟

كوثر وأوجس القلق بداخلها , فحالة رحيل ليست على ما يرام وقد تأكدت أكثر عندما بان أثر الدموع التي جفت على خدي السيدة رحيل , حيث قالت كوثر : نعم يا سيدتي , ولكن هل أنتِ على ما يرام ؟

رحيل : إذا كانت كل عائلتكِ في البيت الآن , فهلا أغلقتي المتجر وتحدثنا في معاً في منزلكم ؟

كوثر : حسناً يا عزيزتي كما تريدين.....بني شبير أغلق المتجر ولا تتأخر للحضور معنا .

بعد أن دخلت كوثر إلى بيت السيد عبد الرحمن , استدعت كوثر كل إفراد عائلتها . ....عبد الرحمن : لقد أقلقتنا يا سيدتي فهل كل شيء على ما يرام ؟

شبر : هل أصاب ياسين شيء ما يا سيدتي ؟

رحيل : هل تعرضتما لحادث قبل عشرون سنة مع طفلكما إليا ؟

كوثر وعندما تذكرت ذلك الحادث المؤلم ولظنها أنها قد فقدت إليا بسببه أغرورقت عيناها بالدموع : وما مناسبة هذا السؤال يا رحيل ؟ فليس لي طاقة لتذكر ذلك اليوم المؤلم .

رحيل : عندما تعرضتما للحادث آنذاك كنتُ أنا هناك أيضاً .... تقاطعها كوثر : حقاً.... أومأت لها رحيل بأنها تريد أن تكمل كلامها فقالت رحيل : عندها هرعت إليكم لأساعدكم , ولكن عندما رأيت الدماء التي كانت تغطيكم بسبب ما أُصبتم به من جروح ظننت أنكم قد فارقتم الحياة , وبعد ذلك سمعت صوت طفل يبكي وقد خرج عن سلته التي كانت تحضنه ..... اندهش كل من في البيت , ووقف عبد الرحمن لشدة اندهاشه مما سمعت إذناه ..... وقبل أن تكمل رحيل كلامها قاطعتها كوثر بالبكاء : انه ابني إليا , ولكن .....قاطعتها رحيل : عندها أخذت ذلك الطفل وأسرعت به كي أعالجه . وبعدها تكفلت بأن أكون أم له بعد أن ظننت أنكما فارقتما الحياة ..... عبد الرحمن : ولكن كل من هناك بعد الحادث أجزم وقال أن إليا قد سقط في النهر لكون سلته كان على حافة النهر ومقلوبة إلى جهة النهر وفارق الحياة غرقاً ! ..... رحيل : لا يا سيد عبد الرحمن أنا من أخذت إليا وعالجته وتكفل به إلى أن كبر .....كوثر والبكاء يمنعها أن تكمل كلامها , فقال عبد الرحمن : إذاً يا سيدتي أين هو إليا ؟ أرجوكِ اخبرينا , أتوسل إليك .

رحيل وعينيها فاضت بالدموع : إن (ياسين) هو نفسه ابنكما (إليا) , ياسين هو ابنكما يا عزيزتي كوثر. .....أغمي على كوثر بعد أن شهقت . صاحب محاولة

إيقاظها وإعادتها إلى وعيها , بكاء جميع من كان في البيت . رحيل وبعد أن قدمت لهم كل العلامات التي تدل على أن ياسين هو نفسه إليا احد أفراد عائلتهم ..... قال شبر : إذاً فقد كان إحساسنا تجاه ياسين اعني أخي إليا كان إحساسنا في محله . فكلما رأيته كان قلبي يحن إليه ولا اعرف السبب . غير أننا أحببناه من دون أي سبب يذكر .

شبير : ياسين هو نفسه أخي الذي ظننا انه قد توفي ! لا اصدق!

عبد الرحمن : حمداً لله على ما انعم . .... ولكن يا سيدتي ما الذي منعك من أن تخبرينا قبل هذا اليوم ؟

رحيل : هناك من تكتم على الحقيقة يا سيدي , فلست أنا الشاهدة الوحيدة على الحادث الذي أصابكم . هناك من كان يعرف بكل شيء وتكتم على الأمر حتى هذا اليوم . ثم ليست لي بكم معرفة سابقة إلا معرفة سطحية , ولم أتعرف عليكما عندما كنتُ حاضرة بعد أن وقع الحادث لكم , فقد كانت الدماء تغطي معالم وجهيكما .

شبر ورأسه مسند على صدر والدته : من الذي شهد الحادث معكِ ؟

رحيل : إنهما السيدتان ختام وصوفيا , فقد تكتمتا على كل ذلك لتصفية حساب قديم بينكم , حسب كلام صوفيا التي أنّبها ضميرها قبل يومين و أخبرتني بكل شيء من دون علم ختام التي منعتها من أن تخبركما أو تخبرني بهذا الأمر . لذا أخبرتني أنا بعد أن طلبت مني الأمان .

عبد الرحمن : يا الهي , يا لخبثهن ومكرهن .

شبير : إن أمر السيدتين لن يمر من دون حساب . ولكن ياسين أعني أخي إليا لمَ لم يأتي معك ؟

رحيل : بني شبير , ياسين لا يعلم بالأمر حتى الآن , فقد أخبرتكم انتم بكل شيء قبل أن اخبره هو, فقد لا يتقبل ذلك مني . اعني أخشى انه سيقدم على معاتبتي لأني لم اخبره بأني لست أمه الحقيقية , وان عائلته الحقيقية تعرضوا لحادث وفارقوا الحياة حسب ما كنت أظن .

عبد الرحمن : ولكن كيف يمكننا أن نخبره بهذا الأمر ؟ فقد لا يستوعب الأمر بسهولة .

كوثر : ولكن ما العمل ؟

رحيل : اعتقد أن الأمر سيكون أسهل من حيث معرفة ياسين بالحقيقة , ولكن قد يكون صعب عليه أن يستوعب هذا الأمر , واقصد بهذا الكلام ابنكم إليا .

شبر : وكيف سيكون سهل عليه معرفة الحقيقة يا سيدتي ؟

رحيل : لقد كلفت سيدة كبيرة بالسن تعرفني سابقاً , وتعلم بأني ليس بإمكاني الإنجاب , ستخبره بالأمر , فضلاً عن أنني كتبت له رسالة ووضحت فيها كل شيء , كي تكتمل الصورة لديه , واعتقد انه في الطريق إلى هنا الآن .

كوثر : ولكن لمَ تأخر حتى الآن ؟

شبير : لقد كنا مجتمعين عند النهر عصر هذا اليوم , وقد اخبرنا بان لديه عمل صغير سينجزه قبل ذهابه إلى بيته.....أو بيت السيدة رحيل.....أو بيتُ .....في الحقيقة لا أعلم ما أقول .....تقاطعه رحيل : بل قل إلى البيت الذي نشأ وترعرع فيه .

كوثر بتوتر شديد وارتباك : لا اعلم كيف سأقابله .... عزيزي عبد الرحمن فلنذهب إليه فقد لا يأتي إلى هنا , وأخشى .....

يقاطعها عبد الرحمن : عزيزتي كوثر تمالكي نفسك , أرجوكِ اهدئي .

شبر : ولكن يا أبي , أو ليس من الأفضل أن نذهب إليه نحن ؟

رحيل : الأفضل أن تبقوا هنا إلى أن يأتي بنفسه إلى هنا . فيجب أن يعود لبيته الحقيقي ويلتقي بعائلته الحقيقية هنا بعد كل هذا الفراق . أليس كذلك يا سيدي ؟

عبد الرحمن : هو كذلك .

شبر بقرارة نفسه : لطالما تمنيت أن يكون لي أخ مثلك يا أخي إليا , وها قد تحققت أمنيتي , الشكر لله فقد استجاب دعاء هذا الفتى المقعد ..... أثناء ذلك إذ أحس شبر بأن قدماه تؤلماه . ولكنه لم يأبه إلى ذلك أو أنه لم يعرها اهتماماً لأنه قد عاد بذاكرته إلى أول لقاء جرى بينه وبين أخيه إليا عندما حملت الرياح تلك الورقة الممزقة من كتاب إليا إلى أن التصقت بوجه شبر . وكيف أن إليا

تكلم ليواسي شبر عندما كانت الكآبة ملازمة لوجه . فقال : إذاً فقد كان ذلك هو فجر لقاءنا يا أخي .....

أثناء ذلك , إذ عاد ياسين إلى بيت السيدة رحيل بعد أن أنجز عمل كان سبب تأخره , ليجد امرأة كبيرة بالسن كانت تنتظره عند باب البيت تدعى السيدة شمس, وبعد أن ألقى ياسين هو نفسه إليا التحية على السيدة شمس , قالت الأخيرة والتي كانت تسند رأسها على يدها : هل أنت هو إليا ؟

ياسين : أرجو المعذرة يا سيدتي اعتقد بأنكِ قد اخطأتي العنوان .

شمس : أليس هذا منزل السيدة رحيل ؟

ياسين : نعم يا سيدتي هذا هو .... وقبل أن يكمل ياسين كلامه قالت : أو لست أنت ياسين بن السيدة رحيل ؟

ياسين مستغرباً : نعم يا سيدتي , ولكن ..... وقبل أن يكمل ياسين كلامه مجدداً قالت شمس : أرأيت يا بني , لم أخطئ العنوان ..... ثم أعقبت وقالت : اسمعني يا بني , في الحقيقة لا أعلم كيف أخبرك بالأمر , ولا أعلم من أين سأبدأ , ولكن أنا قد انتظرتك هنا حتى عودتك بطلب من السيدة رحيل, وطلبت مني أيضاً أن أخبرك بكلام ليس لك به أي علمٌ سابقاً , ولا أعلم كيف سيكون سهلاً عليك استيعابه .

ياسين وقد أوجس في نفسه قلق شديد , فيبدُ أن خلف كلام السيدة شمس يوجد أمر ليس بالهيّن . هذا غير أن طريقة كلامها ونظرات عينيها تدلان على الثقة الكبيرة بالنفس وطريقة جلوسها كذلك , فقال ياسين بعد أن استقر جالساً أمامها على الأراك الخارجية لمنزل السيدة رحيل : وما ذلك الكلام يا سيدتي. وهل استطيع معرفة من تكونِ أولاً ؟

شمس : أنا أُدعى شمس كنت في الماضي طبيبة أعمل في احد مستشفيات هذه المدينة أي قبل أن أتقاعد . استمع جيدا لما سأخبرك به يا بني , قبل خمسة وعشرين سنة قمت بإجراء بعض الفحوصات الطبية للسيدة رحيل . كانت تلك الفحوصات الطبية دقيقة جداً , ولا مجال فيها لوجود أي خطأ . كانت تلك الفحوصات تثبت أن السيدة رحيل لا يمكنها الإنجاب بسبب مرض قد أصاب رحمها ..... أراد ياسين أن يقاطعها , فأومأت إليه بأن يستمع لكلامها من دون أن يقاطعها , فأعقبت وقالت : خذ هذا التقرير الذي يثبت بأن السيدة رحيل لا يمكنها الإنجاب ... بعد أن اخذ ياسين التقرير وقد استوى واقفاً لدهشة ما سمعت أُذناه , وما رأت عيناه : فقال ولكن أنا أكون ابنها يا سيدتي وأضنكِ ..... فقاطعته السيدة شمس : أنت ترى أن هذا التقرير وقد ختم بختم رسمي من احد مستشفيات المدينة . وأنا التي أشرفت عليه , أي أن رحيل ليست أمك الحقيقة يا بني , والآن أنا يجب أن اذهب .

ياسين : سيدتي , أرجوك توقفي ..... لم تهتم السيدة شمس لمناداة ياسين , بل تابعت طريقها وكأنها لم تسمع أي شيء ..... دخل ياسين المسكين إلى داخل

البيت وكانت هناك رسالة بانتظاره قد وضِعت على طاولة في داخل صالة الاستقبال علمَ ياسين أن السيدة رحيل هي من وضعت تلك الرسالة , حيث قام ياسين بفتح تلك الرسالة وبدأ يقرأ :

" عزيزي ياسين اعتقد بأن السيدة شمس قد أخبرتك بكل شيء , واعتقد أن الأمور أصبحت مبهمة لديك , لذلك تركت هذه الرسالة لك كي تكتمل الصورة لديك بالكامل , لذا يا قرة عيني أنت و يا عزيز رحيل , قبل عشرون سنة من الآن تعرضت عائلة تتكون من زوجان مع طفلهما كانت تستقل عربة سفر , حيث تعرضوا لحادث أدى إلى إصابة زوج مع زوجته بإصابات بليغة جدا لدرجة أنني ظننتهم قد فارقوا الحياة إلا طفلاً كان بالقرب منهم مازال به نفس ساعده على البكاء , لقد كنتُ حاضرة هناك فأخذت الطفل لأعالجه قبل أن يفقد حياته فهو الآخر قد نجا بأعجوبة لأنه هو الآخر قد أصيب بجروحٍ بليغة وكان ملقى على حافة نهر كان بالقرب من مكان الحادث وحمدا لله انه لم يسقط في ذلك النهر . لذا بعد أن أخذت ذلك الطفل وبعد أن قمت بمعالجته و بسبب ظني أن والداه قد فارقا الحياة , قمت أنا بتبنيه وتربيته واتخذته ابنا لي . وقد علمت منذُ يومين وسأخبرك لاحقا كيف علمت أن والدا الطفل ما زالا على قيد الحياة ولله الحمد . عزيزي ياسين إن والدا ذلك الطفل هما السيد عبد الرحمن والسيدة كوثر صاحبي متجر الخبز وأنت قد تعرفت عليهم سابقاً , أما الطفل الذي قمت بمعالجته وقمت بتبنيه وتربيته هو أنت يا بني حيث أن اسمك هو إليا , وأرجو منك أن تأتي إلى بيت السيد عبد الرحمن لأن عائلتك الحقيقية تنتظرك هناك ,

لذا أرجوك لا تتأخر عليهم فهم متشوقون لرؤيتك من جديد وكي لا أنسى , فإن لديك أخوين أنت تعرفهم هما شبر وشبير .

مع خالص الحب والحنان لك ....والدتك الثانية رحيل "

(16)

إذن فقد كان فجر اللقاء حقاً

التقرير الطبي الذي يثبت أن السيدة رحيل غير قادرة على الإنجاب , وكلام السيدة شمس ورسالة السيدة رحيل , إضافة إلى أن ياسين قد تذكر كلام أخيه شبر الذي اخبره بأن له أخ قد توفي قبل عشرون سنة بقصة مشابهة تماما لما كتبته له السيدة رحيل في تلك الرسالة , أيقن تماما أن هذه هي الحقيقة ولا شك فيها , لذا جلس على الأرض في صالة الاستقبال وراحت دموعه تسقط واحدة تلو الأخرى ولا اعلم أهي دموع فرح أم حزن , أم ماذا . حيث قال : اسمعوا يا جدران المنزل وأبوابه أنا لست ابن رحيل كما كنت أظن , بعد كل هذه السنين , تبين لي أني لست ابن رحيل !..... ضحك ضحكة خفيفة لشدة

اندهاشه فقال : كل هذه السنين التي مضت تأتي أمي أو السيدة التي ربتني لتخبرني أني لست ابنها وأنها ليست أمي الحقيقية .....يضع ياسين عشر أصابعه على رأسه ويقول : آهٍ , آهٍ , آهٍ كيف لي أن استوعب هذا كيف؟!!! لذا خرج من المنزل مسرعاً نحو بيت السيد عبد الرحمن إلى عائلته الحقيقية , تلك العائلة التي لطالما أذرفت الدموع حزنا على فقده . حيث كان بانتظاره أمام منزل السد عبد الرحمن السيدة كوثر , وهي ممسكة بمرفق يدها وهي تنظر باتجاه الطريق الذي سيأتي منه ابنها إليا . وبعدها ارتجف قلبها كما لو انه لم يرتجف من قبل بمثل هذه القوة عندما رأت شخص من بعيد يركض باتجاهها تحت ضوء القمر , ثم أمعنت النظر وشيئا فشيئا إلى أن بدأ ذلك الشخص بالاقتراب أكثر . كاد أن يغمى عليها لو لم تتمالك نفسها لأنها لا تريد أن تفوت فرصة عناق ابنها ياسين (ماذا أقول أنا بل إليا) الذي فتح ذراعاه وقالت بعد أن صرخت كوثر بصوت يعتليه الحنان والاشتياق الشديد : إليا , بني وقرة عين أمك كوثر , أهذا أنت حقاً ..... حيث صاح إليا بصوت منخفض فلا يريد أي احد أن يسمع بكائه : أمي ..... تعانقا حتى أصبحا كالجسد الواحد , بكت كوثر , وبشكل هستيري بدأت تقبل ولدها إليا في كل مكان في وجهه , أمسكت كوثر يد ابنها إليا اليمنى بيدها اليمنى واليد الأخرى وضعتها حول إليا . دخل إليا إلى بيت السيد عبد الرحمن حيث كان هناك الجميع بانتظاره عانقه والده الذي غطت دموعه خديه ثم قال : إذاً فالذي أخرجني من السجن هو نفسه ابني الذي لم أتعرف عليه! . .... فقبل إليا يد والده , واكتفى بكلمة أبي فقط لأنه علم إن تكلم أكثر فسيبكي وتمنعه دموعه من أن يعش تلك اللحظة مع عائلته بعد

فراق طويل تلك اللحظة لحظة اللقاء . عانق شبير فقال مازحا إذاً فأنت أخي الصغير أليس كذلك ..... فاكتفى شبير فقط بقول كلمة أخي إليا..... استقر إليا أمام الفتى المقعد شبر والدموع قد ملأت خديه , ولكن ذلك الفتى المقعد قد أدهش الجميع , حيث بعد محاولة للوقوف على قدميه لم تدم كثيرا حتى استقر واقفا وقبل أن يختل توازنه ويسقط احتضنه أخيه إليا . لقد تعانق الأخوين حتى صارا كجسد واحد . لا تعرف عائلة السيد عبد الرحمن , أتفرح لعودة إليا إليهم بعد فراق دام عشرون سنة ؟!!! أم لوقوف شبر الذي عجز عنه منذ أن كان طفلا؟!!!.....

هذه الرواية مقتبسة من مسلسل عهد الأصدقاء . حيث تتكلم عن مجموعة من الأصدقاء يواجهون بعض العراقيل التي تعكر صفو حياتهم، حيث يسعون معاً كيدٍ واحدة من أجل مساعدة بعضهم البعض . ولكن في نهاية الرواية قد تحصل لبعض منهم منعطف كبير في حياتهم.....

2020